
Looloo
www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ الجحيم ..

اقتربت لحظة شروق الشمس ، على سجن النساء الفيدرالى ، فى أطراف ميناء (نيويورك) الأمريكى ، دون أن يغمض لـ(منى توفيق) جفن ، طوال ليلتها الأولى ، فى تلك الزنزانة الضيقة من الطابق الثانى للسجن ، وهى تسترجع ذكريات الأحداث العنيفة ، التى ألقت بها فى هذا الموقف العصيب ..

كانت أول مهمة لها ، مع (حسام) ، بعد اختفاء واعتزال (أدهم صبرى) ، فى مزرعة (سونيا جراهام) ، فى (كيواوا) المكسيكية ..

ولم تكن بالمهمة اليسيرة ..

لقد أوقعت المخابرات الأمريكية بواحد من أخطر العملاء المصريين ، فى قلب ذلك الجهاز الأمريكى البالغ الخطورة والسرية ، وبدأت فى استجوابه ، لمعرفة جنسيته ، والجهة التى ينتمى إليها ..

وكان على (منى) و (حسام) أن ينقذا العميل المصرى ، الذى يحمل اسم (هارولدوين) ، أو يتخلصا منه ، قبل أن ينكشف أمر علاقته بالمخابرات المصرية ..

وعليهما أن يواجها ثعلب المخابرات الأمريكية (جيمس إدوارد فوستر) .. أذكى وأخطر رجال المخابرات المركزية ، فى العالم أجمع ..

وبدأت اللعبة ..

وعلى الرغم من صعوبة الأمر ، تمكّن (حسام) و (منى) من زرع أجهزة التصنت ، فى بيت (فوستر) ونادية ..

ولكن الثعلب كشف اللعبة ، وقاد بطلينا إلى الفخ ..

وأسقطهما ..

أسقطهما بعد صراع عنيف ، ومطاردات مثيرة ، وقتال وحشى ..

وفى لحظة السقوط أصيب (حسام) برصاصات رجال المخابرات المركزية ، وتم نقله إلى مستشفى السجن المركزى فى (نيويورك) ..

أما (منى) ، فقد تمت محاكمتها بتهمة التجسس ، وأصدر القاضى الفيدرالى حكمه بحبسها احتياطيًا ، فى سجن النساء الفيدرالى ، لمدة أسبوعين ، حتى تتم محاكمتها رسميًا ..

وفى سجنها لم تجد (منى) أمامها سوى أمل واحد ، جعلها تتصل بـ(قدرى) ، عبر المحيط ، لتروى له سرًا ، لم يكن يعلمه سواه ..

ولتطلب منه بذل قصارى جهده ، للاتصال بذلك الرجل ، الذى بدا لها ، فى لحظاتها العصيبة ، آخر أمل للنجاة ..

بـ(أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل ..(*)

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (لمسة الشر) .. المغامرة رقم (٨٥) .

«استيقظن ..» .

دوى صوت الحارسة (هويا) ، بهذه الكلمة فى قسوة وصرامة ، وهى تضرب قضبان زنزانة (منى) بعصاها فى عنف ، فانتفضت (منى) ، وقفزت من فراشها فى حدة ، جعلت (هويا) تبتسم فى سخرية وشماتة ، وهى تقول :

ـ حانت لحظة الاستيقاظ أيتها الكسولة .

مرّرت (منى) أصابعها فى شعرها ، وهى تقول :

ـ أمن المحتم هنا أن يصطبح المرء بوجه دميم وصوت أجشّ ؟

عقدت (هويا) حاجبيها فى غضب ، وهتفت :

ـ سرعان ما تعتادين هذا .

أجابتها (منى) ساخرة :

ـ ربما بعد أن أصاب بالعمى والصمم .

قالت (هويا) فى شراسة :

ـ اتركى لنا هذه المهمة .

ثم تابعت ضرب القضبان بعصاها ، مستطردة فى حدة :

ـ ستتولاها (سيرينا) .

شعرت (منى) بالقلق ، لهذا التهديد الواضح ، وغسلت وجهها فى ذلك الحوض الصغير داخل الزنزانة ، قبل أن ينفتح بابها إليكترونيًا ، مع باقى الأبواب ، وغادر الجميع زنازينهن ، فى طريقهن لتناول طعام الإفطار .. وفى القاعة المخصصة لهذا الغرض ، لاحظت (منى) أن (هويا) قد انتحت جانبًا مع (سيرينا) ، وراحت تتحدث معها فى عصبية ، وهى تشير إليها ..

ولم تسمع (منى) حرفًا واحدًا، من حديث (هويا) و(سيرينا)، ولكنها أدركت، من تلك الابتسامة الوحشية الجذلة، التى ارتسمت على شفتى الأخيرة، وهى ترمقها بنظرة ساخرة، أنها المقصودة بهذا الحديث، وخاصة عندما غادرت (هويا) القاعة، واتجهت (سيرينا) نحوها هى فى بطء بابتسامتها التى تجمع ما بين السخرية والوحشية، وجلست إلى جوارها، وهى تحمل طبق الحساء الساخن، وقالت:

- يبدو أنك أغضبت (هويا).

تظاهرت (منى) باللامبالاة، وهى تقول:

- فلتذهب إلى الجحيم.

أطلقت (سيرينا) ضحكة ساخرة قصيرة وخافتة، وقالت:

- هنا لا يذهب إلى الجحيم إلا العنيد فحسب.

هزَّت (منى) كتفيها، وتناولت رشفات الحساء الساخن فى بطء وحذر، وهى ترمق (سيرينا) بنظرة جانبية، فأضافت هذه الأخيرة:

- ويبدو أنك من ذلك الطراز.

غمغمت (منى):

- نعم .. يبدو ذلك.

ثم التفتت إليها، مستطردة فى صرامة:

- ولكن لست أظننى من سيذهب إلى الجحيم.

قالت (سيرينا) فى سخرية:

- حقًا؟!

ثم أضافت فى شراسة مباغتة:

- إننا لن نقتلك على الفور.

ابتسمت (منى) فى سخرية، وقالت:

- يا للكرم!

استطردت (سيرينا)، فى حدة تشف عن غضبها:

- فلقد أمرتنا (هويا) بتنفيذ مطلبك أولًا.

سألتها (منى) فى دهشة:

- أى مطلب هذا؟

هتفت (سيرينا):

- العمى.

قالتها وهى تستلّ من طيات ثيابها مدية قصيرة رفيعة، وتنقضّ بها على الهدف ..

على عين (منى) ..

* * *

لحظة عجيبة من الصمت مضت، بعد أن التقت عينا (أدهم صبرى) بعينى (قدرى) ..

لحظة انتفض خلالها جسد (قدرى)، وارتفع حاجباه، وترقرق الدمع فى عينيه، قبل أن يهتف بصوت مرتجف، احتشدت فيه كل انفعالات ومشاعر الدنيا:

- أنت حى .. أنت حى.

وفى اللحظة التالية تفجَّرت الدموع من عينيه، وهو يحتوى (أدهم) بين ذراعيه، ويبكى فى حرارة، مرددًا:

- حمدًا لله .. حمدًا لله .. إننى لم أصدق (منى) .. قطعت المسافة من (القاهرة) إلى هنا ، وأنا أشك فى كل حرف سمعته منها .

كان (أدهم) يشعر بتأثر شديد ، للقاء (قدرى) ، ولكنه قاوم انفعاله فى شدة ، وهو يربت على كتفى (قدرى) ، قائلًا :

- ما أشد سعادتى برؤيتك ياصديقى .. يبدو أنك تزداد بدانة ، مع مرور الوقت .

ابتعد عنه (قدرى) خطوة ، وأمسك كتفيه ، وهو يملأ عينيه بصورته ، هاتفًا :

- وأنت ازددت شحوبًا ونحولًا ياأعز الأصدقاء .. يبدو أن مناخ (المكسيك) لايناسبك .

غمغم (أدهم) فى مرارة :

- كل شىء هنا لايناسبنى ياصديقى .

هتف (قدرى) :

- لماذا تبقى هنا إذن ؟.. لم لاتعود إلى وطنك ، وعملك ؟.. لماذا جعلت الجميع يتصورون أنك لقيت مصرعك ؟

أجابته (سونيا) ، من خلف (أدهم) ، فى حدة :

- يمكنك اعتباره كذلك .

تطلع إليها (قدرى) فى شىء من الانزعاج ، وكأنما لايمكنه أبدًا تقبل وجودها ، كزوجة لـ(أدهم) ، فى حين تابعت هى فى عصبية :

- لقد استقر (أدهم) هنا ، وأصبح زوجًا ، وأبًا ، و ...

قاطعها (أدهم) فى صرامة :

- اصمتى يا (سونيا) .

ابتلعت لسانها فى توتر ، واستدارت فى حركة حادة ، واندفعت إلى داخل القصر ، وهى تحمل طفلها ، فغمغم (قدرى) :

- إنها لم تتغير كثيرًا .

قال (أدهم) فى ضيق :

- ولايبدو أنها ستفعل .

هتف به (قدرى) :

- لماذا لاتتخلص منها إذن ؟.. طلقها ، وعد إلى (مصر) ، و ...

قاطعه (أدهم) :

- مستحيل يا (قدرى) .. لقد فكرت فى هذا ، ولكننى وجدت الطريق مسدودًا أمام العودة .

سأله (قدرى) فى مرارة :

- لماذا ؟.. الجميع سيسعدون حتمًا بعودتك إلى الصفوف .

ابتسم (أدهم) فى أسى ، وقال :

- هذه هى المشكلة ياصديقى .. عودتى إلى (القاهرة) ، لاتعنى أبدًا عودتى إلى العمل ، فى صفوف المخابرات المصرية .. لقد انتهت هذه الأيام ، ولايمكن أن تعود أبدًا .

سأله فى أسى :

- لماذا ؟.. إنك ماتزال شابًا ، و ..

قاطعه (أدهم) :

ـ ليست هذه هى المشكلة ياصديقى .. إننى أستطيع العودة إلى العمل فى مخابراتنا ، ولكن المخابرات نفسها لن تقبل عودتى إليها .

همّ (قدرى) بالاعتراض ، ولكن (أدهم) أشار إليه بالصمت ، وتابع :

ـ القانون يحتم عليهم هذا ، فلقد تزوّجت (سونيا) ، وسواء كان هذا بإرادتى أم لا ، فلقد تجاوزت مادة شديدة الأهمية ، من مواد قانون العمل بالمخابرات ، ألا وهى زواجى من أجنبية .. و (سونيا) ليست أجنبية فحسب ، بل إسرائيلية أيضًا .. أتظنهم يستطيعون إعادتى إلى العمل ، بعد أن حدث هذا ؟

صمت (قدرى) لحظة ، وهو يحدق فى وجهه مذعورًا ، قبل أن يقول :

ـ أهذا هو السبب ؟

تنهّد (أدهم) فى عمق ، وقال :

ـ يمكنك اعتباره كذلك ياصديقى .. إن عودتى إلى (مصر) تعنى تدمير تاريخى بالكامل .. لن أحتمل فكرة الخروج من جهاز المخابرات لهذا السبب .. إننى أفضّل اعتبارى ميتًا .

هزّ (قدرى) رأسه فى شدة ، وقال :

ـ لا .. لا يا (أدهم) .. ليس هذا هو (أدهم صبرى) الذى أعرفه .. أنت دائمًا أقوى من هذا .. أنت لا تخطئ أبدًا .

رفع (أدهم) حاجبيه ، هاتفًا :

ـ لا أخطئ أبدًا ؟!.. من وضع فى رأسك هذه الفكرة يا (قدرى) ؟.. الله (سبحانه وتعالى) وحده ، المعصوم من الخطأ ، أما البشر .. أى بشر ، فلابد لهم من الخطأ .. لأنهم بشر .

ابتسم (قدرى) فى ارتياح ، وقال :

ـ رائع ياصديقى .. رائع .. إنك ماتزال على عهدى بك ، عادلاً ، حازمًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهتف وهو يضرب جبهته براحته :

ـ يا إلهى !.. لقد جرفتنى رؤيتك إلى تلك الأحاديث الجانبية ، حتى كدت أنسى السبب الرئيسى ، الذى أتى بى إلى هنا .

ثم عاد يمسك كتفى (أدهم) فى قوة ، مستطردًا بانفعال جارف :

ـ (منى) فى خطر يا (أدهم) ... بل (مصر) كلها فى خطر .. (مصر) تحتاج إليك ..

وكانت هذه هى الكلمات السحرية ، التى أيقظت العملاق الكامن فى جسد (أدهم صبرى) ..

الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

٢ ـ سونيا ..

توقفت سيارة أمريكية كبيرة ، فى تلك البقعة المقفرة ، على مشارف (نيويورك) ، وهبط منها (فرانك جير) ، مدير قسم مكافحة التجسس ، فى المخابرات المركزية الأمريكية ، وهو يخفى عينيه بمنظار شمسى داكن ، ويرفع ياقة معطفه ، ليحجب بها الجزء الأكبر فى وجهه ، ويتلفت حوله فى توتر ملحوظ ، ولم تمض دقيقة واحدة ، على توقفه فى هذا المكان ، حتى ظهرت سيارة أخرى ، من طراز مماثل ، واقتربت منه فى هدوء ، حتى توقفت ، وهبط منها رجل قصير ، حاد القسمات ، له أنف معقوف بشدة ، مما جعله أشبه بصقر عجوز ، واقترب من (فرانك) ، وحيّاه بإشارة عاجلة من يده ، قبل أن يقول :

ـ لقد أقلقتنى بالفعل يا (فرانك) .

تلفت (فرانك) حوله مرة أخرى فى توتر ، وقال :

ـ الأمر يستحق القلق يا (إيزاك) ، فمن الواضح أن المصريين يلعبون لعبة بالغة الخطورة ، فعلى الرغم من وقوع اثنين منهم فى الأسر ، بالإضافة إلى (هارولد) ، إلا أن الجميع يؤمنون بأن ثلاثتهم من (الموساد) .

عقد (إيزاك) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ ومن وضع هذه الفكرة فى رءوسهم ؟

أجابه (فرانك) فى توتر :

ـ لعبة المصريين .. من الواضح أنهم أجادوا تنسيقها ، بحيث بدا جميع أفرادهم وكأنهم من رجالنا .. أعنى من رجالكم .

غمغم (إيزاك) :

ـ لا فارق يا (فرانك) .

ثم حك ذقنه فى عصبية ، قبل أن يستطرد :

ـ المهم أن نحبط لعبتهم ونكشف أمرهم .

سأله (فرانك) فى حدة :

ـ كيف ؟.. قلت لك إن ..

قاطعه (إيزاك) :

ـ دع هذا لى .

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، قبل أن يتابع :

ـ لقد اعتدت اللعب مع المصريين ، منذ حرب عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، وأنا خبير بوسائلهم وسبلهم وسألعب معهم هذه اللعبة يا صديقى .. وحتى النهاية ..

* * *

لو افترضنا أن عالم السجن له قانون واضح وصريح ، تدار به الأمور ، فمن المؤكد أن هذا القانون هو قانون القوة .. القوة وحدها ..

ففى كل السجون ، وبالذات فى السجون الأمريكية ، تتكون دائمًا جماعات قوية ، تكون لها الكلمة العليا ، والسيطرة التامة داخل جدران السجن ..



ولكن (منى) تحركت فى سرعة مناسبة ، كفتاة مخابرات مصرية ، فأمسكت معصم (سيرينا) ، قبل أن تبلغ المدية عينها ..

و (سيرينا) واحدة من مجموعة القوة ، فى السجن النسائى الفيدرالى ..

بل هى على رأس المجموعة ..

الزعيمة ..

وما ارتكبته (سيرينا) من جرائم داخل السجن ، يفوق بعشرات المرات تلك الجرائم ، التى أتت بها إليه ..

إنها كتلة من القسوة والصرامة والحقد والقذارة ..

كتلة بشرية ، لاتعرف الرحمة ..

وهذا ماتواجهه (منى) ..

وماكانت تتوقعه ..

من حسن الحظ ..

لقد انقضت (سيرينا) بمديتها الصغيرة على عين (منى) ، تنفيذًا لأوامر (هويا) ، ولكن (منى) تحركت فى سرعة مناسبة ، كفتاة مخابرات مصرية ، فأمسكت معصم (سيرينا) ، قبل أن تبلغ المدية عينها ، ثم التقطت طبق الحساء الساخن ، وقذفته فى وجه الزنجية ، التى أطلقت صرخة ألم عالية ، وأفلتت المدية من يدها ، صائحة :

ـ سأقتلك .. سأقتلك أيتها اللعينة الـ ...

ولكن قبضة (منى) أخرستها ، بلكمة قوية فى أسنانها ، سقطت لها (سيرينا) أرضًا ، وسرت معها موجة من التوتر العنيف فى المكان ، وهبّت بعض السجينات ، المؤيـدات

لـ(سيرينا)، استعدادًا للاشتباك مع (منى)، التى قفزت من مقعدها، واتخذت وضعًا قتاليًا، قبل أن يدوى صوت المأمور فى القاعة :

- كفى .

توقفن جميعهن فى آن واحد، فيما عدا (سيرينا)، التى صرخت غاضبة :

- لقد ضربتنى بالحساء الساخن فى وجهى .. لقد أرادت تشويهى .. إنها ..

قاطعها المأمور فى صرامة :

- كفى يا (سيرينا) .. لقد شاهدت كل شىء .

امتدت شفتا (سيرينا) الغليظتان فى غضب، ومسحت بقايا الحساء الساخن عن عينيها، ورمقت (منى) بنظرة نارية، وهى تقول :

- هكذا ؟!

اتجه المدير إلى المنضدة، التى كانت تجلس عليها (سيرينا)، وانحنى يلتقط المدية الصغيرة فى حرص، ثم قال فى صرامة :

- هل تحبين أن أطالب برفع البصمات عن هذه المدية ؟

قالت فى عصبية :

- أنت وشأنك .

أخرج من جيبه حقيبة بلاستيكية شفافة، ألقى داخلها المدية فى حرص، وهو يقول :

- نعم .. ربما أفعل .

ثم وضع الحقيبة فى جيبه، واعتدل فى حزم، وهو يقول :

- والآن عدن إلى تناول طعام الإفطار .. سأراقب القاعة طوال الوقت، وويل لمن تحاول إثارة الشغب من جديد .

قال كل هذا، دون أن يوجه كلمة واحدة إلى (منى)، ثم غادر المكان فى خطوات حاسمة، وترك القاعة فى صمت وسكون، استغرقا دقيقة واحدة، عادت بعدها كل السجينات إلى مقاعدهن، واتجهت (سيرينا) إلى حيث تجلس (منى)، وانحنت على أذنها، قائلة فى شراسة غاضبة وحشية :

- لقد وقعت الحكم بإعدامك أيتها الحقيرة ..

وانصرفت مبتعدة فى عصبية واضحة، تاركة (منى) خلفها، وقد أدركت أنها على حق ..

لقد ناصبت السجينات العداء، منذ ساعاتها الأولى فى السجن ..

ووقعت حكم إعدامها ..

* * *

استمع (أدهم) إلى (قدرى) فى اهتمام بالغ، وهو يعيد على مسامعه كل ماروته له (منى)، ثم قال فى انفعال :

- إذن فـ(منى) و(حسام) فى خطر .

أجابه (قدرى) :

- بل (مصر) .. (مصر) كلها فى خطر يا (أدهم) .

لم يطل تفكير (أدهم) ..

بل يمكنك أن تقول : إنه لم يفكر قط ..

لقد اتخذ قراره على الفور ، وهبَّ واقفًا فى حزم ، وهو يقول لـ(قدرى) :

- هيا يا صديقى .. سنرحل على الفور .

اقتحمت (سونيا) الحجرة بغتة ، صائحة :

- لا يا (أدهم) .. إنك لن تذهب .

التفت إليها (أدهم) فى غضب شديد ، وهتف :

- أكنت تتجسسين علينا يا (سونيا) ؟

صاحت :

- إنك زوجى ، ومن حقى أن ..

قاطعها فى غضب :

- ليس من حقك أبدًا التدخل فى شئونى .

صاحت فى احتجاج :

- إننى زوجتك ، ولن أسمح لك بالذهاب إليها .

صرخ :

- تسمحين لى ؟!

ثم أمسك معصمها فجأة فى حدة ، مستطردًا :

- يبدو أن الأمور قد اختلطت عليك يا (سونيا جراهام) فتصورت أننا زوجان سعيدان ، أو عاشقان يستمتعان وحدهما بالسعادة والهناء .. كلا يا (سونيا) .. استيقظى من حلمك

السخيف هذا ، وواجهى الحقيقة كما هى .. لقد تزوجنا بخدعة حقيرة منك .. خدعة من شأنها إبطال الزواج فعليًا ، وهذا لا يمنحك أية حقوق تجاهى .

قالت فى ثورة :

- إذن فستعود إليها .. إلى (منى) .

أجابها فى صرامة :

- اسمعى يا (سونيا) .. أنت تعلمين أن (منى توفيق) هى المخلوقة الوحيدة ، فى العالم أجمع ، التى أحمل لها فى قلبى كل الحب ، ولن أتردد لحظة واحدة فى إلقاء نفسى فى قلب الجحيم ، لو اقتضى الأمر ، استجابة لنداء واحد منها .

هتف (قدرى) فى سعادة :

- ليتها سمعتك تقول هذا .

أما (سونيا) ، فاستعادت فى لحظة كل شراستها وعنفها ، وهى تهتف :

- ستندم يا (أدهم) .. ستندم أشد الندم ، لو أنك ذهبت إليها الآن .

قال فى صرامة غاضبة :

- بل أنت ستندمين أشد الندم ، لو لم تبتلعى لسانك ، وتصمتى تمامًا يا (سونيا) .. إننى سأذهب .. سأذهب لأن وطنى ينادينى ، ولأننى أتمنى أن تمحو استجابتى لنداء الوطن عار زواجى منك .

رنت فى ذعر :

- عار ؟! .. أتعتبر زواجك منى عارًا يا (أدهم) ؟

تجاهل سؤالها ، وتابع بنفس الصرامة الغاضبة :

- ستجلسين هنا يا (سونيا) ، وسترعين طفلنا ، كأية زوجة مخلصة ، حتى أنتهى من مهمتى ، وأعود إلى ابنى .

ارتجفت محنقة ، وهى تقول :

- إلى ابنك فقط ؟

اعتدل قائلًا :

- نعم يا (سونيا) .. فقط .

ثم أشار إلى (قدرى) ، مستطردًا فى حزم :

- هيا بنا ياصديقى ..

تجمّدت (سونيا) فى مكانها ، وهى تتابعهما ببصرها ينصرفان ، ثم لم يلبث حاجباها أن انعقدا فى غضب ، وهى تقول فى خفوت ساخط شرس :

- قلت لك إنك ستندم يا (أدهم صبرى) .. ستندم أشد الندم .

ورفعت أظفارها كقطة غاضبة .. ومتوحّشة .

* * *



٣ - كل الأطراف ..

بدا الاهتمام والتركيز الشديدين على وجه (جيمس فوستر) ، وهو يضع أوراق اللعب بعضها فوق البعض ، فى دقة متناهية ، ليبنى قصر أوراق اللعب الشهير (الكوتشينة) ، وتابعه أحد رجاله فى إعجاب وانبهار ، وهو يتساءل عن تلك الأعصاب الفولاذية ، التى تمكنه من أداء ذلك العمل الدقيق ، فى ظل ظروف شديدة التوتر كهذه ، وهم بنقل ذلك التساؤل ، من أعماقه إلى لسانه ، لولا أن انبعث صوت (دانى) ، فى اللحظة نفسها ، عبر جهاز اتصال داخلى خاص ، وهو يقول :

- لقد وصلت أيها الرئيس .

تخلى (فوستر) عن اهتمامه الشديد بقصر أوراق اللعب ، والتفت إلى جهاز الاتصال ، قائلًا :

- ادخل على الفور .

لم تمض نصف الدقيقة ، حتى دخل (دانى) إلى الحجرة بجسده الضخم ، وتطلّع فى حذر إلى الرجل الجالس فى حجرة (فوستر) ، فأشار إلى الرجل ، وقال :

- اتركنا وحدنا يا (ألبرت) .

أسرع الرجل يغادر الحجرة ، ويغلق الباب خلفه فى إحكام ، فسأل (فوستر) مساعده فى لهفة :

- حسن .. ماذا فعلت ؟

مال (دانى) نحوه ، وقال :

- لقد تتبعته إلى أطراف المدينة ، وحدث ماتوقعته ياسيدى .

برقت عينا (فوستر) ، وهو يقول :

- هل التقى بأحدهم ؟

أخرج (دانى) من جيبه عدة صور فوتوجرافية ، وضعها أمام (فوستر) ، مجيبًا :

- (إيزاك باراهودا) .. ضابط موساد برتبة عقيد ، يعمل فى السفارة الإسرائيلية ، كملحق عسكرى ، تغطية لعمله فى (الموساد) .

تطلع (فوستر) فى اهتمام إلى الصور ، التى تنقل لحظات لقاء (فرانك) و (إيزاك) ، وبرقت عيناه مرة أخرى ، قائلًا :

- (فرانك جير) عميل إسرائيلى !.. يالها من مفاجأة !.. ستكون قنبلة الجهاز لهذا العام .

ابتسم (دانى) ، قائلًا :

- جاسوسان بضربة واحدة .. هذا لم يحدث منذ عشرة أعوام على الأقل .

بدا الضيق لحظة على وجه (فوستر) ، وهو يقول :

- ولكن إعلان الأمر لن يكون سهلًا أو بسيطًا يا (دانى) ، فـ(فرانك) رئيس قسم مكافحة التجسس ، ولن تسهل إدانته بتهمة التجسس ذاتها ، وإن كان لقاؤه بـ(إيزاك) نقطة ضده .

قال (دانى) فى حماس :

- ويؤكد انتماء (هارولد دين) للموساد .

قال (فوستر) :

- أو ينفيه .

عقد (دانى) حاجبيه ، قائلًا :

- كيف ؟!

دق (فوستر) بسبابته على طرف مكتبه ، وقال :

- الشىء الوحيد المؤكد ، هو أن (فرانك جير) جاسوس لـ(الموساد) ، ولقد كنت أتوقع هذا منذ زمن طويل ، فهؤلاء القوم ينجذبون حتمًا بعضهم إلى البعض ، ولكن النقطة هنا هى السبب ، الذى اتصل من أجله (فرانك) بـ(إيزاك) هذا .. أهو أن أفراد (الموساد) قد سقطوا ، ومن الضرورى البحث عن وسيلة ، لتخليصهم ، أو على الأقل لتخليص (الموساد) من هذا المأزق ؟ أم أن من سقطوا لاينتمون إلى (الموساد) ، ومن الضرورى إثبات ذلك ؟!

ثم تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يتابع ، وكأنه يتحدث إلى نفسه ، لا إلى (دانى) الواقف أمامه :

- هذه هى المشكلة .. المشكلة الحقيقية .

* * *

التقى حاجبا مدير مستشفى السجن المركزى ، وهو يتطلع إلى البطاقة البلاستيكية الأنيقة بين أصابعه ، وتأمل صورة الشاب الوسيم فيها ، قبل أن يرفع عينيه إلى صاحبها ، قائلًا فى ضيق واضح :

ـ ولماذا يتم ارسالك فى هذه الأيام بالذات يادكتـور (جرين) ؟
ابتسم الشاب الأشقر ، ذو العينين الزرقاوين ، وقال فى هدوء :
ـ لست أظننى أمتلك جوابًا لهذا ياسيدى .. لقد اتصلوا بى ، وطلبوا منى الحضور إلى هنا ، وفحص ذلك الجاسوس ، و ...
قاطعه المدير فى حدة :
ـ والتدخل فى شئوننا .
رفع الشاب حاجبيه ، وقال :
ـ شئونكم ؟! .. لست أدرى ما الذى ..
قاطعه المدير مرة أخرى :
ـ لقد سئمت هذا .. سئمت تدخل رجال المخابرات فى عملنا .. لقد ألقوا القبض على هذا الشاب ، ومهمتهم تنتهى عند هذا الحد ، وليس من حقهم إرسال أحد مندوبيهم إلينا .
قال الشاب فى ارتباك :
ـ يبدو أنه هناك سوء تفاهم واضح ياسيدى .. إننى لست مندوبًا للمخابرات المركزية .. لقد طلبوا تعاونى فحسب ، و ...
وللمرة الثالثة قاطعه المدير فى حدة :
ـ فليكن .. لن أعترض .
وازدرد لعابه فى عصبية شديدة ، قبل أن يضيف :
ـ هاهو ذا المستشفى كله أمامك .. افحص الشاب ، أو اقتله .. لن يعنينى هذا أبدًا .

نهض الشاب ، وهو يقول فى ارتباك :
ـ حسن .. شكرًا ياسيدى .. سأحاول إنهاء مهمتى بأقصى سرعة ، مادام هذا يضايقك هكذا .
لوّح المدير بكفه ، وهو يهتف :
ـ افعل مايحلو لك .
وأشار إلى أحد رجاله ، مستطردا :
ـ هيا .. اصحب الدكتور (جرين) إلى حجرة الجاسوس .
اصطحب الرجل الدكتور (جرين) ، عبر ممرات مستشفى السجن ، مجتازين عددًا من البوابات الحديدية المحصنة ، حتى بلغا حجرة (حسام) ، التى يقف على بابها حارسان مسلحان ، وقال الرجل :
ـ ها هى ذى حجرة الجاسوس يادكتور (جرين) .. أتحب أن أصحبك إلى الداخل ؟
هز الشاب رأسه نفيًا ، وقال :
ـ إننى أفضل التحدث إليه وحدى .. لقد استعاد وعيه .. أليس كذلك ؟
أجابه الرجل :
ـ إلى حد ما .. إنه يستطيع أن يسمعك ويجيب أسئلتك فى صعوبة ، ولكنه لايلبث أن يذهب مرة أخرى فى غيبوبة عميقة ..
مط الدكتور (جرين) شفتيه ، وقال :
ـ فليكن .. سأحاول التجاوب مع هذا .

ودخل إلى حجرة (حسام)، وأغلق بابها خلفه، ووقف يتطلع لحظة إلى جسد (حسام)، وهو يرقد على فراشه شبه نائم، ثم اعتدلت قامته، واتجه إليه فى هدوء، وانحنى يدعك حاجبيه بأصابعه فى بطء وقوة، حتى أطلق (حسام) آهة خافتة، وفتح عينيه يتطلع إلى الشاب لحظة، قبل أن يبتسم ساخرًا فى تهالك، ويغمغم :

- ما هذا ؟.. شيطان جديد، فى هذا الجحيم الهزلى ؟

أجابه الشاب فى هدوء :

- بل صديق يا رجل .

أسبل (حسام) جفنيه فى إرهاق واضح، وهو يقول ساخرًا :

- صديق هنا ؟!.. أهى مزحة سخيفة، أم دعابة فات أوانها ؟

ربت الشاب على كتفه، وقال :

- لا هذا ولا ذاك .. ألم تنتبه إلى اللغة التى تتحدث بها ؟

اتسعت عينا (حسام)، وخُيّل إليه أنه قد وقع فى فخ محكم، عندما انتبه إلى أنه يتبادل الحديث مع ذلك الشاب باللغة العربية، وبلهجة مصرية صميمة، إلا أنه تمالك نفسه فى سرعة، وقال بالعبرية، على الرغم من تهالكه :

- إننى أجاريك فى أسلوبك فحسب .

ابتسم الشاب، وانحنى نحو (حسام)، قائلاً :

- لا داعى للتحايل والخداع يا صديقى .. كلانا يعلم أنك مصرى صميم، يفخر به وطنه ومجتمعه .. مصرى يحمل اسم

(حسام) .. الرائد (حسام)، ويحمل أيضًا اللقب (ن - ٢)، وزميلته تُدعى (منى توفيق) .

حاول (حسام) أن يبتسم فى مرارة، وهو يقول :

- إذن فقد أصبح اللعب بأوراق مكشوفة .

ربت الشاب على كتفه مرة أخرى، وقال :

- ليس بعد يا صديقى .. إننا نلعب فى فريق واحد .. صحيح أننا لم نلتق من قبل، ولكننى كنت أحمل فيما مضى لقبًا شبيهًا بلقبك .

التقى حاجبا (حسام)، وحاول أن يفتح عينيه عن آخرهما، وهو يقول :

- لقبًا شبيهًا ؟!.. من أنت ؟.. من أنت يا رجل ؟

ارتسمت على شفتى الشاب ابتسامة هادئة، وهو يقول :

- اسمى (أدهم) يا صديقى .. (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا (حسام) فى ذهول، وهو يهتف :

- الأسطورة ؟!

ثم استدرك فى سرعة وانفعال :

- ولكن هذا مستحيل !.. لقد لقيت مصرعك، منذ ما يقرب من العام ونصف العام !.. مستحيل !!

مسّ (أدهم) جبهته فى رفق، وقال :

- اهدأ يا صديقى .. اهدأ .. لذلك قصة طويلة، ربما أمكننى أن أقصها عليك فيما بعد، أما الآن فأنا أحتاج إليك .

سأله (حسام) ، والدوار يحيط برأسه فى شدة :

ـ فيم تحتاج إلىّ ؟

أجابه (أدهم) فى اهتمام :

ـ إننى أعلم أنكما هنا ـ أنت و (منى) ـ فى محاولة لتخليص (هارولد دين) ، وأنكما تنتحلان الآن شخصية عميلين إسرائيليين ، ولكننى أجهل التفاصيل ، وأريد منك أن تخبرنى بكل مالديك .. كله يا (حسام) .

تردد (حسام) لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ أتظن أنه من السهل أن أفعل هذا ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ أعلم أنه ليس من السهل إقناعك بما أقول ، فمن حقك اعتبار كل هذا مجرّد خدعة ، ولكننى سأمنحك دليلًا لايقبل الجدل ، على أننا نعمل ضمن فريق واحد ، وبعدها ستخبرنى كل مالديك .. اتفقنا ؟

تطلع إليه (حسام) لحظة فى تهالك ، وغمغم :

ـ اتفقنا .

وبدأ الحديث الفعلى بينهما ..

* * *

«أنت أيتها الجاسوسة .. »

أطلقت (هويا) تلك الصيحة فى غضب واضح ، وسط فناء السجن ، فالتفتت إليها (منى) فى هدوء ، وقالت :



التقى حاجبا (حسام) ، وحاول أن يفتح عينيه عن آخرهما ، وهو يقول :
ـ لقد رأيتك .. أعنى .. لقيا شبيهًا ؟!.. من أنت ؟..

- ماذا تريدين يا أفعى السجن ؟

أجابتها (هويا) فى لهجة استفزازية ، وهى تضرب راحتها اليسرى بعصاها ، فى إيقاع عصبى رتيب :

- إذن فأنت تعلمين أنك جاسوسة .

عقدت (منى) ساعديها أمام صدرها ، وقالت فى برود :

- وهل سبق أن أنكرت هذا ؟

بدا الغضب على وجه (هويا) ، وهى تقول فى عصبية :

- أتعلمين أننى أستطيع تحطيم رأسك بعصاى ، دون أن يتحرك مخلوق واحد هنا لحمايتك ؟

ابتسمت (منى) فى سخرية ، وقالت :

- بل أعلم أننى أستطيع اقتلاع لسانك من حلقك ، قبل أن ترتفع يدك لضربى ، دون أن يجد أى مخلوق الفرصة ، لإنقاذك منى .

ندت من (هويا) حركة عصبية عنيفة ، وكأنها ستضرب (منى) بعصاها فى ثورة ، ولكن يبدو أنها تذكرت فجأة ما فعلته (منى) بـ(سيرينا) ، فى قاعة الطعام ، فتراجعت فى سرعة ، وارتسم غضب الدنيا كله على وجهها ، وهى تقول :

- فليكن أيتها الجاسوسة .. لن تفلتى فى كل مرة .

ثم استدارت لتنصرف ، وهى تضيف فى حدة :

- لو كانت هناك مرات أخرى .

وعلى الرغم من ابتسامة (منى) الساخرة ، التى تعلمتها من (أدهم صبرى) ، والتى لم تفارق شفتيها ، إلا أنها - فى أعماقها - كانت تشعر بالكثير من القلق والتوتر ..

وكان السؤال نفسه يملأ كيانها حتى النخاع ..

أهناك حقًا مرات أخرى ؟! ..

دار السؤال فى ذهنها ، دون أن تدرى أو تنتبه ، إلى أن إحدى رفيقات (سيرينا) كانت تتجه إليها فى بطء ، وهى تخفى خلف ظهرها خنجرًا ضخمًا ..

وفجأة أمسكت تلك المرأة كتف (منى) من الخلف ، وصرخت :

- اذهبى أيتها الجاسوسة .. اذهبى إلى الجحيم .

وهوى الخنجر على ظهر (منى) ..

فى موضع القلب تمامًا ..

* * *

ارتسم مزيج من الضيق والحنق ، على وجه مدير السجن المركزى ، وهو يتطلع إلى (أدهم) ، الذى وقف أمامه هادئًا ، وقال فى عصبية :

- حسن .. هل انتهيت من عملك السخيف يا رجل ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- لم يكن من السهل فحص ذلك الجاسوس ، فهو لا يستعيد وعيه لأكثر من لحظات ، ثم يذهب بعدها فى غيبوبة عميقة .

سأله المدير فى حدة :

- المهم هو هل انتهيت ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- نعم .. لقد انتهيت من عملى تمامًا .. هل يمكننى الانصراف ؟

لوّح المدير بكفه ، هاتفًا :

ـ بكل سرور .. إننى ..

قاطعه رنين الهاتف ، فالتقط سماعته بحركة عصبية حادة ، وقال :

ـ هنا مدير السجن المركزى .. من المتحدث ؟

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى اسم محدثه ، ثم قال فى حدة :

ـ اسمع يا (فوستر) .. إننى أمنعك من التدخّل فى شئوننا مرة أخرى .. كان بإمكانى أن أطرد ذلك الطبيب ، الذى أرسلته إلى هنا ، و ...

اتسعت عيناه بغتة ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، مرددًا :

ـ زائف ؟!.. طبيب زائف ؟!

أسرعت يده نحو مسدسه ، ولكن (أدهم) تحرّك فى سرعة أكثر ، فقفزت قبضته إلى فك المدير بلكمة عنيفة ، دفعت الرجل إلى الخلف ، وضربت رأسه بالحائط وارتدّ ، فهوى على مكتبه فاقد الوعى ..

كل هذا استغرق ثانية واحدة ، وفى الثانية الأخرى كان (أدهم) يلتقط سماعة الهاتف ، ويقول فى صوت مدهش ، يشبه صوت المدير تمامًا ، وبنفس الانفعال :

ـ معذرة يا (فوستر) .. لقد أربكتنى المفاجأة فسقط الهاتف أرضًا .. ولكن أخبرنى .. أواثق أنت من أنه طبيب زائف ؟

أجابه (فوستر) فى حدة :

ـ بالتأكيد .. مر بإلقاء القبض عليه على الفور ، لو أنه مايزال لديك ، وسأحضر بأقصى سرعة .

قال (أدهم) :

ـ ستجده عندما تصل .

وأنهى المحادثة بسرعة ، ثم اعتدل ، وعدّل حلته ، وفتح باب الحجرة فى هدوء ، وخرج إلى مساعد المدير ، الذى قاده من قبل إلى حجرة (حسام) ، وقال :

ـ يبدو أنك الذى سيقودنى إلى الخارج أيضًا ياصديقى .

ابتسم الرجل ابتسامة آلية ، وقال :

ـ لابأس .. لن يضيرنى هذا .

سار (أدهم) إلى جواره فى هدوء ، فى طريقهما إلى خارج السجن ، وسأله (أدهم) ، وهما يجتازان إحدى البوابات الخارجية الثلاث :

ـ هذا السجين بالغ الأهمية ، هل أحطتموه بالحراسة اللازمة ؟

أجابه المساعد :

ـ بالتأكيد .. فالسجن ـ كما ترى ـ يستحيل اختراقه ، فله ثلاثة أسوار عالية ، لكل منها بوّابة فولاذية واحدة ، وهناك طاقم حراسة ضخم ، فى الفجوتين بين الأسوار الثلاثة ، وزنزانة السجين وحدها داخل ممر إليكترونى خاص ، مراقب بست آلات

تصوير تليفزيونية ، ونافذتها لها قضبان فولاذية مزدوجة ، يسرى فيها تيار كهربى عنيف ، يبلغ ألفى فولت فى المتوسط .

هزّ (أدهم) رأسه ، وقال :

ـ عظيم .

تجاوزا البوّابة الثانية ، وعبرا الفجوة الأخيرة ، التى يقوم على حراستها عشرون حارسًا مسلحًا ، وأشار المساعد إلى أحد الحراس ، بفتح البوّابة الأخيرة ، وهو يقول لـ(أدهم) :

ـ اطمئن ياسيدى .. لم يحدث أبدًا ، منذ إنشاء هذا السجن ، أن نجح سجين واحد فى الفرار منه ، ولن يحدث أن ..

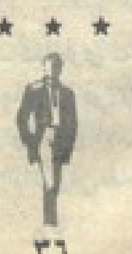
قاطعه فجأة صوت مدير المستشفى ، وهو يصرخ ، عبر مكبرات صوت قوية ، تنتشر فى كل مكان :

ـ أوقفوا ذلك الطبيب الزائف ، قبل مغادرته السجن .. أكرّر .. أوقفوه بأى ثمن .

وقبل أن ينتهى النداء ، كان الحراس يرفعون فوهات أسلحتهم نحو الهدف ..

نحو (أدهم صبرى) .

* * *



٤ ـ الأسطورة ..

لم تكن هناك فرصة للنجاة هذه المرة ..

لقد باغتت المرأة (منى) ، وانتزعتها من شرودها ، لتطعنها بالخنجر فى قسوة ، وبلا رحمة أو شفقة ..

ومن خلف ظهرها ..

كل هذه العوامل لم تكن لتمنح (منى) فرصة واحدة للنجاة ..

لولا إرادة الله (عزّ وجلّ) ..

ولولا تدخّل (ميرا) ..

و(ميرا) هذه زنجية عملاقة ، لمحت المرأة ، وهى تخفى الخنجر خلف ظهرها ، وتتجه إلى (منى) ، فنهضت من مكانها ، وهى تقول بصوتها الأجش :

ـ اللعنة !

ثم اندفعت نحو (منى) ، وفى نفس اللحظة التى هوت فيها يد المرأة على ظهر (منى) ، كانت يد (ميرا) تندفع نحوها ، وتمسك معصمها ، وتمنعها من طعن (منى) فى اللحظة الأخيرة ، وهى تقول فى غلظة :

ـ ألا تتوقفن عن حقارتكن أبدًا ؟

التفتت (منى) فى توتر ، ورأت المرأة تنتزع معصمها من قبضة (ميرا) ، ثم تلتفت إليها ، صائحة فى شراسة :

- ابتعدى أيتها السوداء الحقيرة .

ولكن (منى) تحركت هذه المرة ، وأمسكت معصم المرأة ، لتمنعها من طعن (ميرا) ، وقد أدركت أن هذه الأخيرة أنقذت حياتها لسبب ما ، ولوت ذراع المرأة خلف ظهرها فى عنف ، وانتزعت الخنجر من يدها ، ثم ركلتها فى ظهرها ، وأسقطتها على وجهها ، هاتفة :

- ألم تسمعى ما قالته زميلتى ؟.. ألكن لا تتوقفن عن حقارتكن أبدًا ؟

ابتسمت (ميرا) ابتسامة واسعة ، أبرزت أسنانها البيضاء الكبيرة ، وهى تقول :

- عجبًا !!.. هل أصبحت قدوة ؟.

أما المرأة ، فقد نهضت صارخة :

- ستندمين على فعلتك هذه أيتها الحقيرة .

استعدت (منى) للكمها مرة أخرى ، لولا أن برزت (هويا) فجأة ، صائحة فى صرامة :

- ماذا يحدث هنا ؟.. ما هذه الفوضى ؟

ثم توقفت عيناها عند الخنجر ، الذى تمسك به (منى) ، وتألقت عيناها وهى تهتف :

- آه .. خنجر قاتل .. إذن فأنت تلعبين دور (رامبو) هنا يا فتاة (*) .

ألقت (منى) الخنجر فى حركة ماهرة ، لينغرس بين قدمى (هويا) ، وهى تقول فى هدوء مثير :

- بل كنت أدافع عن نفسى فحسب .

صاحت (هويا) :

- لن يمكنك إثبات هذا .

قالت (ميرا) فى هدوء :

- أنا سأشهد لصالحها .

بدت الدهشة على وجه (هويا) لحظة ، ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تصرخ :

- ابتعدن إذن .. ابتعدن جميعًا من هنا .

ابتسمت (ميرا) فى استمتاع ، واتجهت إلى (منى) ، قائلة :

- هيا بنا يا صديقتى .. يبدو أن المناخ هنا لا يناسب صحتنا .

راقبتهما (هويا) فى حقد ، وهما تبتعدان إلى ركن الفناء ، ثم تطلعت إلى الخنجر المغروس بين قدميها لحظة ، وقالت :

- لا أحد يعامل (هويا) هكذا .

(*) شخصية ابتكرها الممثل الأمريكى ، الإيطالى الأصل (سلفستر ستالون) ، وهى لمقاتل أمريكى ، من القوات التى شاركت فى حرب (فيتنام) ، مصاب باضطراب نفسى ، ويتعامل بعنف وصرامة مع كل ما حوله ، ولقد ظهرت سلسلة أفلام لشخصية (رامبو) ، حققت كلها نجاحات هائلة ، فى العالم كله .

وانحنت لتلتقط الخنجر ، لولا أن ارتفع من خلفها صوت (سيرينا) ، وهى تقول فى صوت خافت :

ـ حذار .

اعتدلت (هويا) ، والتفتت إليها فى حدة ، هاتفة :

ـ ماذا تريدين يا (سيرينا) ؟

أشارت (سيرينا) إلى رأسها ، وقالت :

ـ إنها فكرة يا عزيزتى (هويا) .. فكرة عبقرية ، قفزت فجأة إلى رأسى ، عندما رأيت تلك الجاسوسة الحقيرة ، وهى تمسك الخنجر بيدها .

سألتها (هويا) فى عصبية :

ـ أية فكرة هذه ؟

ابتسمت (سيرينا) فى زهو وثقة ، وهى تقول :

ـ فكرة رائعة ، ستجعلنا نضرب عصفورين بحجر واحد .. نعاقب (ميرا) اللعينة على تحديها لنا ، ونؤدب تلك الجاسوسة فى آن واحد .

راقت الفكرة لـ (هويا) ، وأشبعت موجة الحقد والكراهية فى أعماقها ، فسألت فى لهفة :

ـ كيف يا (سيرينا) ؟ .. كيف ؟

أشارت (سيرينا) إلى الخنجر ، قائلة :

ـ بوساطة هذا .

وابتسمت ..

ابتسمت ابتسامة شيطانية ..

* * *

لم يكد نداء مدير مستشفى السجن يتردد ، عبر مكبرات الصوت ، حتى ارتفعت فوهات أسلحة الحراس نحو (أدهم) ، وتراجع مساعد المدير ، وهتف فى دهشة ، وهو يحدق فى وجهه :

ـ أنت ؟! .. أنت زائف ؟!

ولكن (أدهم) مال نحوه بحركة سريعة ، وأمسك سترته بأصابع فولاذية ، وجذبه إليه ، وهو يقول :

ـ مفاجأة .. أليس كذلك ؟

وفى نفس اللحظة ارتفعت قدمه تركل وجه الحارس ، الذى يفتح البوّابة الأخيرة ، ثم فتح البوّابة بدفعة سريعة ، والحراس يشعرون بالتردد والغضب ، لعجزهم عن إطلاق النار عليه ، وهو يحتمى بجسد مساعد المدير ، فى حين تردد صوت المدير مرة أخرى ، عبر مكبرات الصوت ، وهو يقول :

ـ لاتسمحوا له بالفرار أبدًا ، مهما كان الثمن .

واعتبر الحراس هذا النداء أمرًا مباشرًا ..

وأطلقوا النار ..

واخترقت الرصاصات جسد مساعد المدير ، الذى أطلق صرخة ألم ، واتسعت عيناه فى ذعر وذهول ، فى حين هتف (أدهم) :

ـ يالكم من أوغاد ! .

ودفع جثة المساعد إلى الداخل ، وهو يقفز عبر البوّابة إلى الخارج ، ويعدو نحو سيارته الرياضية الصغيرة ، التى تقف فى فناء السجن ..

وصرخ قائد الحرّاس :

ـ لاتسمحوا له بالهروب .. اقتلوه .. لاتسمحوا له ..

انطلقت الرصاصات خلف (أدهم) فى شراسة ، ولكنه انطلق فى خط متعرّج جعل إصابته عسيرة ، وقفز إلى سيارته ، وانطلق بها على الفور ، كما لو أن محرّكها ظلّ دائرًا طيلة الوقت ..

واندفع حارس الفناء يغلق الحاجز الخشبى الصغير ، فى محاولة لمنع السيارة من مغادرة المكان ، ولكن (أدهم) اخترق الحاجز فى بساطة ، وانطلق بأقصى سرعته إلى الطريق ، الذى يقود إلى المدينة ، وصوت مدير السجن يتردّد خلفه فى ثورة :

ـ أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

كان الغضب يسرى فى عروقه ، ويجرى فيها مجرى الدم ، وهو يتابع من نافذة حجرته سيارة (أدهم) الرياضية ، التى تبتعد عن مبنى السجن فى سرعة فائقة ، فراح يضرب قضبان النافذة بقبضتيه ، صارخًا :

ـ اللعنة !.. اللعنة !

وفجأة بلغ ذلك الأزيز مسامعه ..

أزيز هليوكوبتر (فوستر) ، التى تقترب من السجن ، فرفع عينيه إليها ، وراح يلوّح بذراعيه ، صائحًا :

ـ الحقوا به .. أوقفوه .

لم يسمع (فوستر) كلمة واحدة ، مما نطق به المدير ، ولكنه فهم الموقف كله من نظرة واحدة ، فهتف وهو يشير إلى سيارة (أدهم) ، التى تبتعد عن السجن فى سرعة كبيرة :

ـ انظر يا (دانى) .. يبدو أن ذلك الرجل قد نجح فى الفرار منهم .

ثم صاح بالطيّار :

ـ الحق به يا رجل ، وحذار أن تسمح له بالفرار ، مثلما فعلت فى المرة السابقة .

استدار الطيّار بالهليوكوبتر ، وانطلق بها خلف السيارة الرياضية الحمراء الصغيرة ، فى حين التقط (دانى) مدفعًا آليًا ، من خزانة سرية خاصة بالهليوكوبتر ، وهو يقول فى جذل :

ـ لابأس من بعض الرياضة فى الصباح .

انطلقت الهليوكوبتر خلف السيارة ، ولحقت بها فى سرعة ، فأبرز (دانى) مدفعه منها ، وقال :

ـ هيا .. سننهى العملية فى سرعة ، ونعود لتناول طعام الإفطار .

وانهمرت رصاصات مدفعه على السيارة ، وأصابت سقفها وحقيبتها الخلفية ، ولكن السيارة تابعت طريقها بنفس السرعة ، وإن بدأت تتخذ مسارًا متعرّجًا ، فى حين برز جسد (أدهم) من نافذتها ، وهو يحمل مسدسه بيده اليسرى ، ويصوّبه إلى (دانى) ، الذى هتف فى سخرية :

ـ بيدك اليسرى ، وبهذا المسار المتعرّج ؟!.. سأدفع ألف دولار ، لو أمكنك أن تصيب جسم الهليوكوبتر حتى أيها المغرور ..

ولكن (أدهم) أطلق رصاصة واحدة ..



انطلقت الهليوكوبتر خلف السيارة ، ولحقت بها فى سرعة ، فأبرز (دانى) مدفعه منها ..

رصاصة أصابت جسم المدفع الرشاش ، على قيد سنتيمترات من سبابة (دانى) ، الذى أفلت المدفع بحركة غريزية ، وهو يتراجع داخل الهليوكوبتر ، هاتفًا :

ـ اللعنة !

هوى المدفع من الهليوكوبتر ، و (فوستر) يهتف فى دهشة :

ـ لقد نجح فى إصابتك ؟!

صاح (دانى) :

ـ من حسن الحظ أنه لايجيد التصويب أكثر من هذا ، وإلا حطم أصابعى .

ثم هتف بالطيّار :

ـ ماذا تنتظر يا رجل ؟.. انقضّ عليه .. اقتله .

ولكن (فوستر) قال :

ـ كلا .. إننى أحتاج إليه على قيد الحياة ، حاول أن تقطع الطريق عليه ، كما فعلت فى المرة السابقة .

زاد الطيّار من سرعته ، وتجاوز سيارة (أدهم) ، ثم استدار يواجهها ، و (فوستر) يقول فى حماس :

ـ لو حاول المقاومة اسحقه سحقًا .

ولكن سيارة (أدهم) واصلت طريقها ، وكأنها تنوى الارتطام بالهليوكوبتر ، مما جعل الطيّار يهتف فى توتر :

ـ إنه يواصل طريقه ، كما فعل الآخر .

صاح (فوستر) :

- أطلق نيران مدفعيك عليه إذن .. هيا .. انسفه نسفًا .

ضغط الطيار زر الاطلاق فى عصبية ..

وانهمرت رصاصات الهليوكوبتر على السيارة ، و ..

ودوى الانفجار ..

* * *

«لماذا أنقذت حياتى ؟..» .

ألقت (منى) السؤال على (ميرا) فى اهتمام ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، فى فناء السجن ، فهزت (ميرا) كتفيها المكتنزين ، وهى تقول فى هدوء :

- لست أدرى .

ثم ارتسمت على شفتيها الغليظتين ابتسامة واسعة ، وتابعت ، وكأنها تجد فيما فعلته شيئًا من المتعة :

- إننى هنا منذ عشر سنوات ، ومازال أمامى عشر أخرى ، ومنذ جئت وأنا أخضع لسلطان (هويا) و (سيرينا) .. لا أحد يمكنه الاعتراض على ماتفعلانه ، ولاماتريدانه .. إنهما أسوأ صورة للتعاون ، بين السلطة والشعب .. واليوم رأيتك تضربين (سيرينا) فى قاعة الطعام ، وتكسرين أنفها أمام الجميع .. ولقد راقنى هذا .

ابتسمت فى تلذذ ، وهى تنطق العبارة الأخيرة ، قبل أن تتابع :

- لحظتها أدركت أن أيام (سيرينا) هنا ، قد شارفت على الانتهاء ، وأنه آن الأوان ، لتولد زعيمة جديدة فى السجن ،

وهاأنذا أبايع الزعيمة الجديدة .. لاتنسى هذا أبدًا ، عندما تنتزعين السلطة من تلك الحقيرة .

تنهدت (منى) ، وقالت :

- لست أظننى أبقى إلى هذا الحين .

مالت (ميرا) نحوها ، قائلة فى حنو وتعاطف ، وكأنها لم تتحدث إلى ابنتها :

- لاتضعى هذه الفكرة فى رأسك ، وإلا فسيصبح هذا السجن أشبه بالجحيم ، بالنسبة لك .. لاأحد يمكنه الفرار من هنا ياعزيزتى .. طوال السنوات العشر الماضية ، لم تنجح حشرة واحدة فى الفرار .. كل مايمكنك فعله هو الاستسلام لمصيرك ، ومحاولة تقوية موقفك هنا .. هذا وحده يمنحك القوة والقدرة على الاستمرار هنا .

شردت (منى) ببصرها لحظة ، قبل أن تقول :

- من يدرى يا (ميرا) ؟.. ربما كنت أول حالة تنجح فى هذا .

هزت (ميرا) رأسها مشفقة ، وقالت :

- قلت لك : مستحيل يابنيتى .. مستحيل !

ترددت هذه العبارة طويلًا فى رأس (منى) ، وهى ترقد فى ذلك الفراش الضيق ، داخل زنزانتها الصغيرة ، فى ليلتها الثانية بلا نوم ، وتطلعت فى توتر إلى ساعة يدها الصغيرة ، التى سمحت لها إدارة السجن بالاحتفاظ بها ، وغمغمت فى ضيق :

- لن تصلح الأمور على هذا النحو .. لابد لى من النوم بعض

الوقت ، وإلا فلن يمكننى التصدى لـ (سيرينا) اللعينة هذه ، فى المرة القادمة .

فجأة برز وجه (سيرينا) ، خلف قضبان الزنزانة ، وهى تبتسم ابتسامة ساخرة متشفية ، فهبّت (منى) من فراشها ، وهتفت :

ـ كيف غادرت زنزانتك ؟

أجابتها (سيرينا) ساخرة :

ـ لدى وسائلى .

ثم أشارت بيدها ، فانفتحت زنزانة (منى) ، التى تراجعت فى حذر وتوتر ، وهى تتخذ وضعًا قتاليًا ، فأطلقت (سيرينا) ضحكة قصيرة ، وقالت :

ـ اطمئنى ياصغيرتى .. لن أصارعك هذه المرة .. إننا نعدّ لك مصيرًا أفضل .

لم تفهم (منى) ماتعنيه (سيرينا) ، إلا أن حاجبيها التقيا فى حدة ، عندما ظهرت ثلاث من فتيات (سيرينا) ، وهن يحملن جسدًا ضخمًا ، ألقوه أمام زنزانتها ، فهتفت فى ذعر :

ـ (ميرا) ؟!

كانت الزنجية العملاقة جثة هامدة ، وقد انغرس الخنجر الضخم حتى مقبضه فى قلبها ..

ومن خلف كل هؤلاء ظهرت (هويا) ، وهى تبتسم فى شماتة ، قائلة :

ـ أنت متهمة بقتل (ميرا) أيتها الجاسوسة ، ولدى شهود على هذا .

وابتسمن جميعًا فى تشفٍ .

* * *

٥ ـ مهمة ثلاثية ..

أصابت رصاصات الهليوكوبتر كلها سيارة (أدهم) الرياضية ، التى انفجرت بدوى هائل ، قبل أن تبلغ الهليوكوبتر بمتر واحد ..

ولولا جسم الطائرة المصفح ، لأصابها الانفجار بأضرار فادحة ..

وصرخ (دانى) :

ـ اللعنة !

هتف به (فوستر) :

ـ أنا أيضًا كنت أتمنى إلقاء القبض عليه حيًا .

ولكن (دانى) صاح :

ـ ولكنه حى بالفعل .. لقد قفز خارج السيارة ، قبل انفجارها بلحظات ، وها هو ذا يعدو هناك .

اتسعت عينا (فوستر) فى انزعاج ، وحاول أن يمدّ بصره ، إلى ماخلف حاجز النيران والدخان ، الذى صنعه انفجار السيارة ، ثم هتف بالطيار :

ـ ماذا تنتظر يارجل ؟.. الحق به .

ارتفعت الهليوكوبتر مرة أخرى ، ومع ارتفاعها بدا (أدهم) واضحًا ، وهو يعدو نحو غابة قريبة ، فهتف (فوستر) :

ـ الحق به قبل أن يبلغها .. أسرع .

وانطلقت الهليوكوبتر خلف (أدهم)، الذى واصل عدوه بسرعة كبيرة، وأزيز الهليوكوبتر يقترب منه فى سرعة ..

وفجأة توقف (أدهم)، واستدار نحو الهليوكوبتر فى سرعة، ثم رفع مسدسه نحوها، وأطلق النار ..

وهتف (فوستر) فى عصبية :

ـ ستواجهك مفاجأة أيها الحقير، فهذه الهليوكوبتر مصفحة .

ولكن رصاصات (أدهم) أصابت مروحة الهليوكوبتر مباشرة، فى منطقة شديدة الحساسية، فصاح الطيار، وهو يحاول السيطرة على الطائرة .

ـ يا للشيطان .. لقد أصاب المروحة .

شحب وجه (فوستر)، وهو يتابع (أدهم)، الذى انطلق مرة أخرى نحو الغابة، وهتف بصوت مختنق :

ـ انسفه إذن .. اقتله قبل أن يهرب .

ولكن الطيار صاح فى توتر بالغ :

ـ لن يمكننى حتى إجادة التصويب .. إننى أستخدم كل قوتى للسيطرة على الهليوكوبتر، فقد اختل عمل المروحة، وقد تتحطم أرضنا .

ازداد شحوب وامتقاع وجه (فوستر)، وهو يتابع (أدهم)، الذى اختفى داخل الغابة، قبل أن ينجح الطيار فى السيطرة على الهليوكوبتر، ويهبط بها فى سلام ..

لقد خسر الثعلب هذه الجولة ..

خسرها بجدارة ..

* * *

بدا شىء من الشك وعدم التصديق، على وجه مأمور السجن، وهو يتطلع إلى جثة (ميرا)، وقال فى ضيق :

ـ إذن فقد حاولت الجاسوسة الفرار، وتصدت لها (ميرا)، فقتلتها الجاسوسة بهذا الخنجر .

قالت (منى) فى حدة :

ـ قصة سخيفة .

ولكن (هويا) قالت فى غضب مصطنع :

ـ لقد شاهدها الجميع تفعل هذا .. كلهم شهود على ما فعلته .

نقل المأمور بصره بينها وبين (منى)، ثم استقرت عيناه لحظة أخرى على جثة (ميرا)، قبل أن يقول :

ـ ولكن أبواب الزنازين كلها تفتح بمفتاح إليكترونى، فكيف تمكنت الجاسوسة من فتح باب زنزانتها ؟

أجابته (هويا) :

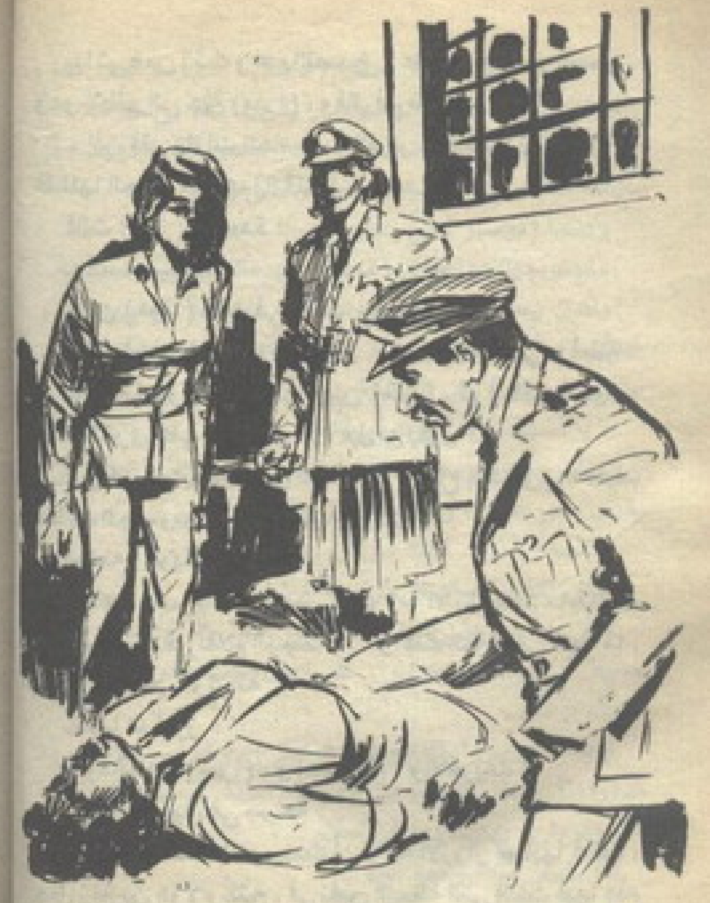
ـ إنها جاسوسة .. أليس كذلك ؟.. ألا تشاهد ما يفعله الجواسيس، فى أفلام السينما ؟.. أراهنك أنها تخفى شيئًا ما، يمكنه فتح باب الزنزانة .

سألها المأمور :

ـ وماذا عن (ميرا)، و(سيرينا)، والأخريات ؟

أجابته (هويا) فى سرعة :

ـ لقد راجعت هذا، ووجدت أن لوحة الأزرار أصابها عطب، جعل زنازين هؤلاء تنفتح، فى نفس اللحظة التى فتحت فيها هذه الجاسوسة زنزانتها .



نقل المأمور بصره بينها وبين (منى) ، ثم استقرت عيناه لحظة أخرى على جثة (ميرا) ..

تنهد وقال :

ـ ياله من عطب أنيق ، يحسن اختيار من يريد !

هتفت (هويا) :

ـ أتتهمنى بالكذب ؟

قال فى صرامة :

ـ لست أتهمك بشىء ، ولكنها الأسئلة نفسها ، التى سيلقيها رجال المباحث الفيدرالية عليك ، عندما يبدأون تحقيقاتهم فى هذه القضية ، والأفضل أن تكون لديك أجوبة أكثر إقناعا .

ابتسمت (هويا) ابتسامة عجيبة ، جعلتها أشبه بثعبان أرقط ، وهى تقول :

ـ بصمات الجاسوسة على مقبض الخنجر ، سيقنعهم أكثر .

التقى حاجبا (منى) لحظة ، قبل أن تقول فى حدة :

ـ لقد أعددت لعبتك بمنتهى الدقة .. أليس كذلك ؟

ابتسمت (هويا) فى سخرية شامتة ، وقالت :

ـ إننى أخدم العدالة ، وأكره من يتجسسون على دولتى .

قال المأمور فى صرامة :

ـ كفى يا (هويا) .

ثم التفت إلى (منى) ، قائلا :

ـ سآمر بإيداعك زنزانتك ، مع حراسة خاصة مشددة ، وسيتم عرضك على القاضى ، بعد أن ينتهى رجال المباحث الفيدرالية من تحقيقاتهم ، بتهمة القتل .

لم تعلّق (منى) بحرف واحد ، وتركت (هويا) تقودها إلى زنزانتها ، ولم تكد تبلغها ، حتى التفتت إليها ، قائلة :

ـ ماذا ستفعلين فى المرة القادمة ؟

برقت عينا (هويا) فى شماتة ، وهى تقول :

ـ محاولة فرار .

ثم ابتسمت ساخرة ، مستطردة :

ـ ومايستتبعها من قتل للسجينة الهاربة .

وأطلقت ضحكة ساخرة متشفية ..

وأغلقت الزنزانة ..

* * *

بدا (فوستر) شديد التوتر ، وهو يجلس فى مكتب مدير مستشفى السجن ، الذى بدا بدوره عصبيًا عنيفًا ، وهو يقول :

ـ إذن فقد نجح فى الفرار منكم أيضًا .. هذا يجعلنا متعادلين هذه المرة يا (فوستر) .

أشار إليه (فوستر) فى صرامة غاضبة ، وهو يقول :

ـ ليست هذه هى القضية الآن يا رجل .. المهم أن نعرف لماذا جاء هذا الطبيب الزائف إلى هنا ، وما جنسيته بالضبط ؟

أجابه المدير :

ـ لقد كان يتحدث الأمريكية فى إتقان شديد ، ولكن حارس البوّابة يقول إنه أطلق عبارة ساخطة بالعبرية ، قبل أن يقفز خارج المكان .

انعقد حاجبا (فوستر) ، وهو يقول :

ـ بالعبرية ؟!

صمت لحظة ، ثم تابع :

ـ ولكن لماذا جاء إلى هنا ؟.. إنه لم يحاول التخلّص من الجاسوس الآخر ، أو حتى حاول تهريبه ، فما الذى جاء يفعله إذن ؟

هزّ المدير كتفيه ، وقال فى حدة :

ـ ومن أدرانى .. إنها ليست مشكلتى .. لقد قتل حراسى الحمقى مساعدى ، وهم يتصوّرون أننى أمرتهم بهذا ، وسيضعنى تصرُّفهم السخيف فى موقف شديد الحرج ، أمام رجال التحقيقات .. هذه هى مشكلتى .

رمقه (فوستر) بنظرة ازدراء ، ثم لوّح بكفه ، قائلاً :

ـ فليكن .. اهتم بمشكلتك ، ودع لنا مشكلتنا .

وأشار إلى مساعده ، مستطردًا :

ـ هيا يا (دانى) .. سنغادر هذا المكان ، فلم أعد أحتمل رائحته العفنة .

غادرا المكان معًا ، واستقلا السيارة الخاصة ، التى استدعاها (فوستر) ، بعد ما أصاب الهليوكوبتر من عطب ، ولم تكد السيارة تبتعد بهما ، حتى قال (فوستر) :

ـ أسمعت ما سمعته يا (دانى) ؟.. لقد تحدث بالعبرية .

قال (دانى) :

- هذا يحسم الأمر ياسيدى .

أجابه (فوستر) :

- بل يزيده تعقيدا يا (دانى) ، فليس من المنطقى أن يلجأ (إيزاك) لمثل هذا الإجراء الغامض ، فى موقف يهدد دولته إلى هذا الحد .. ثم أن أسلوب الإسرائيليين يختلف كثيرًا ، عن هذا الأسلوب الغامض المعقد .. إنهم - فى حالة كهذه - يقتلون رجلهم بلا تردد ، حتى لايعترف بانتمائه إليهم ، ولقد قضى ذلك الرجل نصف ساعة كاملة مع الجاسوس ، وهذا الوقت كان يكفيه لقتله ، وتقطيعه إربًا أيضًا .

صمت لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب الأمر مرة أخرى ، ثم أضاف فى شرود واضح عميق :

- مازالت هناك خيوط أخرى فى اللعبة يا (دانى) .. خيوط أكبر مما نتصوّر .

وصمت لحظة ثانية ، ثم تابع فى حزم :

- وأخطر مما نتصوّر ..

* * *

شعر (قدرى) بارتياح شديد ، عندما رأى (أدهم) يدخل إلى تلك الحجرة ، فى الفندق الصغير ، فى قلب (نيويورك) ، وهتف به :

- مرحى يارجل .. لقد نجحت هذه المرة .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) ، وهو ينتزع العدستين الزرقاوين من عينيه :

- إلى حد ما .. لقد التقيت بـ(حسام) ، وعرفت منه كل التفاصيل ، ولكنه ضعيف ومتهالك للغاية ، حتى أنه فقد وعيه ،

بعد أن قصَّ علىَّ مالديه ، ولكن مدير مستشفى السجن كشف أمرى ، وطاردتنى طائرة هليوكوبتر ، نجوت منها بأعجوبة .

ارتسمت على شفتى (قدرى) ابتسامة واسعة ، وقال :

- بل بتوفيق من الله (سبحانه وتعالى) ، وبمهارتك المعتادة يافتى .

جلس (أدهم) فى إرهاق ، إلى جوار المائدة ، وقال :

- إنها ليست مهمة سهلة يا (قدرى) ، فهى تحتاج إلى قتال مستميت ، فى ثلاثة محاور ، مما يجعلها أشبه بمهمة ثلاثية ، أو بثلاث مهمات فى آن واحد .. إننا نحتاج إلى إنقاذ (منى) من سجنها ، وإنقاذ (حسام) من مستشفى السجن ، ثم العمل على إعادتهما إلى (مصر) بأقصى سرعة ، وفى نفس الوقت ينبغى ألا نفسد المهمة الأساسية أو ننساها ، فعلينا أن نسعى لاستعادة (هارولد) ، ثم نلقى التبعة كلها على رءوس الإسرائيليين .

استمع إليه (قدرى) ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه ، ثم سأله :

- وما قولك فى هذه المهمة الثلاثية ؟

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وتنهَّد قائلًا :

- صعبة .

أجابه (قدرى) فى حماس :

- بل مستحيلة !

واتسعت ابتسامته أكثر ، وهو يضيف :

ـ لذا فهى تناسبك تماما ، وتصلح كهدية عودة .

التفت إليه (أدهم) ، وسأله فى هدوء :

ـ عودة من ؟

تألقت عينا (قدرى) ، وهو يجيب :

ـ عودة الرجل ، الذى تدين له (مصر) بالكثير ، ويدين هو إليها بالأكثر .. عودتك يا (أدهم) إلى الصفوف .. عودتك يا (رجل المستحيل) .

* * *

اندفع (دانى) إلى مكتب (فوستر) ، وبدا الانفعال الشديد على وجهه ، وهو يقول :

ـ سيّدى .. إنه هنا ، ويطلب مقابلتك .

عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ من هذا ؟

أجابه (دانى) ، فى انفعال شديد :

ـ (إيزاك) .. سيّدى .. (إيزاك باراهودا) .

اعتدل (فوستر) ، ـ من هذا ؟

أجابه (دانى) ، فى انفعال شديد :

ـ (إيزاك) .. سيّدى .. (إيزاك باراهودا) .

اعتدل (فوستر) ، وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يقول :

ـ (إيزاك) ؟! .. دعه يدخل على الفور يا فتى .. ماذا تنتظر ؟

غادر (دانى) الحجرة فى سرعة ، ولم تمض ثوان ، حتى دخل إليها (إيزاك) ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة دبلوماسية ، ويقول :

ـ مساء جميل يا (جيمس) .. إننا لم نلتق منذ زمن طويل .. أليس كذلك ؟

لم ينهض (فوستر) لمصافحته ، وإنما أشار إليه أن يجلس فى برود ، وهو يقول :

ـ ما الذى أتى بك يا (إيزاك) ؟

أجابه (إيزاك) فى بساطة ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ـ جئت من أجل الجاسوسين ، اللذين ألقيتم القبض عليهما ، لأؤكد لكم أنهما ليسا إسرائيليين كما يدعيان .

سأله (فوستر) فجأة :

ـ ومن أخبرك أنهما يدعيان هذا ؟

بدت ابتسامة (إيزاك) أشبه بابتسامة ثعلب عجوز ، وهو يقول :

ـ لن أقول إننى قرأت هذا فى الصحف ، فلم تشر صحيفة واحدة إلى هذا ، ولكن سأقول : إن لنا وسائلنا .

ابتسم (فوستر) ابتسامة ساخرة ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ حقًا ؟!

تلاشت ابتسامة (إيزاك) هذه المرة ، وقال :

ـ لن أعتمد على قولى وحده بالتأكيد ، فلابد من إقناعك بدليل حاسم .

أجابه (فوستر) بنفس البرود :

ـ أعتقد هذا .

وهنا فتح (إيزاك) حقيبته، وسحب منها ملفًا ضخمًا، وضعه أمام (فوستر)، وهو يقول:

ـ وها هو ذا الدليل .. افتح هذا الملف، وستدرك أننى على حق.

فتح (فوستر) الملف، فطالعته صورة واضحة، وأسفلها اسم واضح، بالعبرية والإنجليزية، يحمل اسم صاحبة الصورة .. اسم (منى توفيق).

* * *



٦ ـ وبدأت اللعبة ..

التقى حاجبا (فوستر) فى شدة، وهو يقرأ ملف (منى) فى اهتمام بالغ، و(إيزاك) يتابعه ببصره فى ترقب واهتمام، حتى انتهى من الملف، فأغلقه فى عنف، وهو يردد:

ـ مستحيل!

أجابه (إيزاك):

ـ ولماذا مستحيل؟.. كل المعلومات لديك هنا، وكلها صحيحة، على مسئوليتى الشخصية .. هذه الفتاة تنتمى إلى المخابرات المصرية، وكانت تعمل فيما مضى بصحبة واحد من أقوى وأخطر رجال المخابرات، فى العالم أجمع، ولكنه لقى مصرعه فى (المكسيك)، منذ عام ونصف العام، ويبدو أنها قد انتقلت للعمل مع رجل آخر.

قال (فوستر) فى حدة:

ـ هذا لو أن كل المعلومات، فى هذا الملف صحيحة.

هتف (إيزاك) فى دهشة:

ـ ماذا تعنى يا (جيمس)؟

أجابه (فوستر) فى صرامة:

ـ أعنى أنه من المحتمل أن يكون كل هذا مزيفًا.

هتف (إيزاك) مستنكرًا:

- هل سنزوّر ملفًا كاملًا لخداعكم يا (جيمس) ؟

أجابه (فوستر) فى شراسة :

- إنكم قادرون على تزوير عالم بأكمله ، من أجل مصلحتكم الشخصية ، حتى لو كان هذا مدمرًا لحضارتنا كلها .

صاح (إيزاك) فى غضب :

- (جيمس) .. لقد تجاوزت الـ ...

قاطعه (فوستر) فى صرامة :

- اصمت .. لقد أعطيتنى هذا الملف ، وهنا تنتهى مهمتك كلها ، ومهمتى أنا هى دراسة الملف ، والتأكد من كل كلمة جاءت فيه ، وبعدها نلتقى يا (إيزاك) .. هل فهمت هذا ؟

ران الصمت لحظات على المكان ، ثم نهض (إيزاك) قائلًا :

- فهمت يا (جيمس) .

ثم ارتفع صوته بغتة ، وهو يستطرد :

- فهمت أنك تتخذ موقفًا معاديًا للسامية .

ابتسم (فوستر) فى سخرية ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

صاح (إيزاك) ، وهو يندفع لمغادرة المكان :

- حقًا يا (جيمس) .. هذا ما سأبلغ به رؤساءك .. سأبلغ الجميع .

قال (فوستر) فى حدة :

- اذهب إلى الجحيم ، لتخبر الشيطان ذاته .

صفق (إيزاك) الباب خلفه فى عنف ، فى حين جلس (فوستر) خلف مكتبه فى توتر ، وعاد يلتقط ملف (منى توفيق) ، ويطالعه فى عناية كبيرة ..

وقلق أكبر ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثامنة والنصف ، عندما دخل مأمور السجن إلى مكتبه ، وتطلّع فى اهتمام إلى الرجل العريض المنكبين ، الكث اللحية والشارب .. صاحب الأنف المعقوف ؛ الذى نهض لاستقباله ، ومدّ يده يصافحه ، قائلًا :

- صباح الخير ياسيّدى المأمور .. اسمى (آرثر) .. (آرثر كنج) .

صافحه المأمور ، وهو يتأمّله فى اهتمام ، قبل أن يجلس خلف مكتبه ، قائلًا :

- أنت محامى تلك الجاسوسة .. أليس كذلك ؟

رفع (آرثر) سبابته أمام وجهه ، وقال :

- مهلًا ياسيّدى المأمور .. ليس من حقك وصفها بالجاسوسة ، ما دامت لم تُدَن بهذه التهمة بعد .

لوّح المأمور بكفه ، وقال :

- حسن .. أنا أفهم أساليبكم وأمقتها أيها المحامون .. لن أصفها بهذا الآن ، ولكنك تريد مقابلتها .. أليس كذلك ؟

أجابه (آرثر) فى هدوء :

- وفى حجرة خاصة ، دون حواجز أو أجهزة تصنت ، أو ...

قاطعه المأمور فى ضجر :

- حسن .. حسن .. إننى أدرك كل هذا .

وضغط أحد الأزرار العديدة فوق مكتبه ، فظهرت (هويا) على عتبة الباب ، وقال لها المأمور :

- هذا (آرثر كنج) ، محامى المتهمة .

رمقت (آرثر) بنظرة باردة ، قبل أن تقول :

- بأية تهمة ؟

عقد (آرثر) حاجبيه ، وقال :

- لقد كلفونى الدفاع عنها ، ضد اتهامها بالتجسس .

قالت ساخرة :

- وماذا عن القتل ؟

هتف فى دهشة :

- القتل ؟! .. أى قتل ؟

أجابه المأمور فى ضيق :

- إنها متهمة بقتل زميلة لها أمس ، ونحن فى انتظار رجال التحقيقات .

بدا الاهتمام على وجهه ، وهو يقول :

- القتل ؟! .. هذا يزيد من تعقيد القضية .

قال المأمور :

- ومن أتعابك ؟

ابتسم الرجل ، وقال :

- بالتأكيد .

ثم التفت إلى (هويا) ، وقال فى حماس :

- هيا .. قودينى إلى موكلتى .

قادته (هويا) إلى حجرة خاصة ، فى الطابق الأول من السجن ، وقالت :

- سأحضر الفتاة على الفور .

اتجهت إلى قاعة الطعام ، وقالت لـ(منى) فى صرامة :

- يبدو أنهم قد انتدبوا محاميًا للدفاع عنك .

بدا الاهتمام على وجه (منى) ، وهى تسألها :

- كيف يبدو ؟

أطلقت (هويا) ضحكة ساخرة ، وقالت :

- أهذا كل ما يقلقك ؟ .. إنه طويل ، متين البنيان ، عريض المنكبين ، له لحية كثة ، و ...

قاطعتها (منى) فى لهفة :

- هذا يكفى .. هيا بنا .

عقدت (هويا) حاجبيها فى شك ، وقالت :

- يبدو أنك تعرفينه .

ابتسمت (منى) ، قائلة :

- بالتأكيد .

لم يفارق الشك (هويا) ، وهى تقودها إلى الحجرة ذاتها ، فى

حين راح قلب (منى) يخفق فى قوة ، وهى تسير إلى جوارها ، حتى بلغا الحجرة ، فدفعت (هويا) بابها ، وقالت فى صرامة :

ـ ادخلى .

دلفت (منى) إلى الحجرة ، وقلبها يدق فى قوة وعنف ، ثم تجمدت مشاعرها كلها ، وهى تتطلع إلى الرجل ، الذى ابتسم قائلاً بالعبرية :

ـ صباح الخير يا (هانا) .

وهوى قلبها بين قدميها ..

★ ★ ★

استمع (فوستر) فى اهتمام بالغ إلى مأمور السجن ، عبر هاتفه الخاص ، وسأله فى انفعال ملحوظ :

ـ اسم (آرثر كلارك) .. هل يبدو طبيعيًا ؟

سأله المأمور فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا مستر (فوستر) ؟.. إنه طبيعى بالتأكيد .

قال (فوستر) :

ـ أعنى هل يبدو متنكرًا ؟

أدرك المأمور ما يعنيه (فوستر) ، فتردد لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى .. إنه كث اللحية والشارب ، وربما ..

قاطعه (فوستر) ، وكأنما اكتفى بالعبارة :

ـ حسن أيها المأمور .. سأرسل أحد رجالى لمراقبته ، عند خروجه من السجن ، ودع الباقى لنا .



دلفت (منى) إلى الحجرة ، وقلبها يدق فى قوة وعنف ، ثم تجمدت مشاعرها كلها ، وهى تتطلع إلى الرجل ..

انهى المحادثة ، وقال فى انفعال :

ـ إنه هو .. أراهن أنه هو .

سأله (دانى) :

ـ من تقصد ياسيِّدى ؟

أشار إليه (فوستر) ، قائلاً :

ـ ذلك الشاب ، الذى نجح فى الفرار منا .. إنه الآن فى السجن النسائى الفيدرالى ، ينتحل شخصية محام ، يُدعى (آرثر كنج) .

زوى (دانى) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـ (آرثر كنج) ؟! .. أظننى أنكر هذا الاسم .

ثم هتف :

ـ نعم .. لقد تذكَّرته .. إنه محام شهير ، من أصل يهودى ، يختصّ بقضايا التجسّس والقتل .

هتف (فوستر) :

ـ من أصل يهودى ؟!

عاد يسترخى فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكِّر فى عمق ، فسأله (دانى) فى خفوت :

ـ ألا يبدو لك هذا واضحًا ؟

هزَّ (فوستر) رأسه ، وقال :

ـ كلاَّ يا (دانى) .. لاشىء يبدو واضحًا ، فى هذه العملية كلها .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـ ارسل من يراقب هذا المحامى .. بل اذهب بنفسك ، وحاول

أن تستجوبه ، أو تثير خوفه .. المهم أن تعرف من هو بالفعل ، ومن استأجره للدفاع عن الفتاة .. اجمع كل مايمكنك من معلومات ، وبأية وسيلة .

ابتسم (دانى) فى ارتياح ، وقال :

ـ سمعًا وطاعة ياسيِّدى .

وغادر المكان دون تردد ، تاركًا رئيسه خلفه ، وهو يشتعل حيرة ..

وقلقًا ..

* * *

اندفع المقدَّم (أشرف) ، إلى حجرة مدير المخابرات المصرية ، وهو يقول فى انفعال شديد :

ـ سيِّدى .. لقد حدث تطوُّر خطير ، فى قضية (حسام) و (منى) .

سأله المدير فى قلق :

ـ ماذا حدث يا (أشرف) ؟

أجابه (أشرف) :

ـ مندوبنا فى (أمريكا) اتصل بنا هاتفيًا منذ دقائق ، وقال : إن أحدهم نجح فى زيارة (حسام) فى سجنه أمس ، وتم كشف أمره ، ولكنه نجح فى الفرار : على الرغم من مطاردة هليوكوبتر مصفحة له ، وصباح اليوم ذهب رجل إلى (منى) ، وقال لإدارة السجن : إنه محام مكلَّف الدفاع عنها .

قال المدير في دهشة :

ـ محام ؟! .. ولكننا لم نرسل محاميًا بعد .

قال (أشرف) :

ـ كيف تفسّر ماحدث إذن ياسيّدي ؟.. هناك من يعمل لحسابنا ، ونحن نجهل حتى من هو !

بدا التفكير العميق على وجه المدير ، ثم لم يلبث أن نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى النافذة ، وتطلّع منها لحظات ، قبل أن يقول :

ـ أتعلم يا (أشرف) .. لو سألنا أنفسنا ، عن سر طلب الإجازة العاجلة ، الذي تقدّم به (قدري) ، بعد تلقيه مكالمة عبر المحيط ، ثم سفره المباغت إلى (المكسيك) ، وحدوث ماحدث ، لقلنا إن الشخص الذي يختفي ، خلف كل هذا ، هو ..

قاطعه (أشرف) :

ـ (أدهم صبري) .

لم يجب المدير ، بل ظلّ يتطلّع من النافذة في صمت ، فتابع (أشرف) :

ـ أظنه إسراف في الخيال ياسيّدي .

غمغم المدير :

ـ أو أمنية .

قال (أشرف) :

ـ أمنية مستحيلة ياسيّدي .. فالموتى لايعودون إلى الحياة ، في عالمنا هذا .

تنهّد المدير ، وقال :

ـ أعلم هذا يا (أشرف) .. أعلم هذا .

والتفت إليه ، مستطردًا :

ـ ولكن كيف تفسّر مايحدث هناك ، في الولايات المتحدة الأمريكية ؟

أجاب (أشرف) :

ـ ليس لدينا أي تفسير ياسيّدي .

ثم تابع في حزم :

ـ ولكن هذا لايعني أن (أدهم صبري) على قيد الحياة .. لايعني هذا أبدًا .

* * *

غادر (آرثر كنج) سجن النساء الفيدرالي ، ووجهه يحمل ابتسامة ثقة ظافرة ، واتجه إلى سيارته في خطوات قوية ولكنه لم يكد ينحني ليفتح بابها ، حتى شعر بفوهة مسدس باردة تلتصق بظهره ، وسمع صوتًا صارمًا قاسيًا ، يقول في شراسة :

ـ أظننا سنستضيفك في سيارتنا يا مستر (آرثر) .

تحرّك (آرثر) جانبًا في حركة سريعة ، ودار على عقبيه في مهارة ، ثم ركل المسدس في يد الرجل الضخم ، الذي يهدّده ، وهوى على فك الرجل بلكمة قوية ، وهو يقول في سخرية :

ـ أظنني أفضّل سيارتي .

تفادى الضخم اللكمة في خفة ، على الرغم من حجمه ، وهوى على معدة (آرثر) بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

ـ هذا لو أنك تملك الاختيار .

انثنى (آرثر) ، من عنف اللكمة ، ثم اعتدل فى سرعة ، وقفز يركل وجه الرجل بقدمه فى عنف ، وهو يقول :

ـ إننى أملكه بالتأكيد .

ولكنه سمع وقع أقدام تعدو خلفه ، فدار على عقبيه فى سرعة ، ليواجه خصمه الجديد ، إلا أن كعب مسدس ثقيل هوى على مؤخرة عنقه ، فى قوة شديدة ، فدار حول نفسه لحظة ، ثم سقط فاقد الوعى ، تحت قدمى (دانى) ، الذى هتف فى وجه الضخم :

ـ كاد يهزمك أيها الأحمق .. يبدو أنك تحتاج إلى إعادة تدريباتك كلها .

انحنى الضخم يلتقط مسدسه ، وهو يهمهم بكلمات مبهمة ، فتابع (دانى) فى صرامة :

ـ تحرك بسرعة يارجل ، واحمله إلى سيارتنا ، فسيروق لمستر (فوستر) حتمًا أن يستجوبه بنفسه .

أسرع الضخم يحمل جسد (آرثر) إلى سيارة ضخمة ، لم تلبث أن انطلقت إلى مكتب (فوستر) ..

مكتب الثعلب ..

* * *

«من الواضح أنك تواجه مشكلة ضخمة أيها المدير ..» .

نطق مفتش التحقيقات الفيدرالى هذه العبارة فى صرامة ، وهو يواجه مدير مستشفى السجن المركزى ، الذى زفر فى يأس ، وقال :

ـ أعلم هذا .

ثم تابع فى حدة :

ـ ولكنها ليست غلطتى حتمًا .. صحيح أننى طلبت من هؤلاء الأوغاد إيقاف الطبيب الزائف بأى ثمن ، إلا أننى لم أكن أقصد أن يقتلوا مساعدى بهذا الغباء .

أجابه المفتش :

ـ عبارتك كانت تعنى هذا بالنسبة لهم .

هتف المدير :

ـ إنهم أغبياء .

قال المفتش فى صرامة أكثر :

ـ وأنت المسئول عن كل مايحدث هنا .

زفر المدير مرة أخرى ، وتهالك على مقعده ، فى حين راح المفتش يتحرك فى المكان لحظات ، قبل أن يلتفت إليه ، ويسأله :

ـ وما قيمة هذا السجين ، الذى يخاطر شخص بحياته ، من أجل إلقاء نظرة عليه فحسب ؟

أجابه المدير فى مرارة :

ـ إنه جاسوس ، أحضره رجال المخابرات المركزية ، و ..

انتفض جسد المفتش فى قوة ، وهتف :

ـ جاسوس ؟! .. المخابرات المركزية ؟! .. وما شأن رجال المخابرات المركزية بالجواسيس داخل البلاد ؟! .. أنت تعلم أن

قرار الكونجرس صريح فى هذا الشأن .. ليس من حق المخابرات المركزية العمل داخل البلاد .. التجسس الداخلى من شأن البوليس الفيدرالى فحسب .

غمغم المدير فى توتر :

ـ أبلغهم هذا بنفسك .

قال المفتش فى حدة :

ـ ولكنك أصبحت متورطًا معهم أيها المدير .

هبّ المدير من مقعده كالملسوع ، وهتف :

ـ أنا ؟! .. وما شأنى بهذا ؟

أجابه المفتش فى صرامة :

ـ لقد كنت تعلم .

بدا التوتر البالغ على وجه المدير ، وقال :

ـ ولكننى أنفذ الأوامر .

صاح به المفتش :

ـ أتظن هذا عذرًا ؟

امتقع وجه المدير ، وانهار على مقعده متمتمًا :

ـ وماذا كنت أستطيع أن أفعل ؟

قال المفتش فى غلظة :

ـ لم يكن ينبغى أن تستقبل الجاسوس فى مستشفاك على الأقل ، فهى قضية فيدرالية ، ولابد من وضعه فى سجن فيدرالى .

ثم التقط سماعة الهاتف الخاص بالمدير ، وهو يستطرد :

ـ سأطلب نقله من هنا على الفور .

ورمق المدير بنظرة صارمة ، مردفًا :

ـ ربما عمل هذا على تحسين موقفك .

ولم يعترض المدير ..

لم يعترض بحرف واحد ..

* * *

لم يكد (آرثر) ينصرف ، حتى قالت (هويا) فى سخرية ، وهى تتطلع إلى (منى) :

ـ إذن فأنت إسرائيلية ؟

أجابتها (منى) فى برود :

ـ ليس هذا من شأنك .

قالت (هويا) فى حدة :

ـ لقد سمعتكما تتحدثان بالعبرية .

توقفت (منى) ، وقالت فى قلق :

ـ سمعتنا ؟! .. ليس هذا من حقك .

أطلقت (هويا) ضحكة ساخرة ، وقالت :

ـ أيمكنك إثبات أننى فعلت ؟

ثم مالت نحوها ، مستطردة :

ـ ولكن اطمئنى .. لم أفهم حرفًا واحدًا من حديثكما ، فأنا أجهل العبرية ، ولكننى أستطيع تمييزها عندما أسمعها ، فأول شاب عرفته فى صباى ، كان يتحدث بها .

ابتسمت (منى) فى سخرية ، ولكن (هويا) تابعت فى مقت :

- ولقد خدعنى وعاملنى بمنتهى السفالة ، حتى أننى لم أبغض فى حياتى أكثر منه ، ومن كل يهودى فى هذا العالم .

كانا قد بلغا فناء السجن ، فتركتها (هويا) ، واتجهت فى خطوات واسعة إلى (سيرينا) ، وقالت فى مقت :

- إنها إسرائيلية .

رمقت (سيرينا) (منى) بنظرة طويلة ، قبل أن تقول :

- حقا ؟!.. ولماذا يحاول الإسرائيليون التجسس علينا ؟

أجابت (هويا) فى كراهية واضحة :

- لأنهم أقذر أهل الأرض .

ثم أمسكت يد (سيرينا) فى قوة ، مستطردة :

- اسمعينى جيدًا يا (سيرينا) .. لقد زاد مقتى لهذه الفتاة ، بعدما علمته عنها ، وقررت أن تلقى مصرعها الليلة ، مهما كان الثمن .. هل فهمت يا (سيرينا) ؟.. الليلة .

ابتسمت (سيرينا) فى ارتياح ، وقالت :

- كما تشائين يا (هويا) .. سنقتلها الليلة .

وابتسم الشيطان .

* * *



٧ - المزيَّف ..

استعاد (آرثر) وعيه فى بطء ، وتأوه فى ألم ، وهو يقول :

- أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

التقطت عيناه صورة (فوستر) ، الجالس أمامه ، فانتفض انتفاضة صغيرة ، وقال فى حدة :

- من أنت ؟.. لماذا فعلتم بى هذا ؟

أجابه (فوستر) فى صرامة :

- أنت هنا لتجيب عن أسئلتى ، لا لتلقى الأسئلة يا رجل .

قال (آرثر) فى حدة :

- وبأى حق أجيب عن أسئلتك ؟

ألصق (دانى) فوهة مسدسه برأس (آرثر) ، وهو يقول :

- هل يكفى هذا لإقناعك ؟

بدا (آرثر) متوترًا ، وهو يقول :

- إلى حد ما .

اعتدل (فوستر) فى مقعده ، وقال موجهًا حديثه إلى (آرثر) :

- من أنت بالضبط ؟

أجابه (آرثر) فى حنق :

- (آرثر كنج) .. أشهر محام فى (نيويورك) كلها .

سأله (فوستر) :

ـ أأنت واثق من هذا ؟

أجابه فى حدة :

ـ ما الذى تعنيه يا رجل ؟.. إننى واثق بالطبع .

هزّ (فوستر) كتفيه ، وقال :

ـ لا بأس .. لقد حصلنا على بصماتك ، قبل أن تستعيد وعيك ، ولن يلبث الكمبيوتر أن يخبرنا بكل شىء عنك ، أما الآن فلدى سؤال واحد ، أريد منك أن تجيب عنه بمنتهى الدقة والوضوح .

ومال نحوه بغتة ، مستطردا :

ـ من استأجرك للدفاع عن الجاسوسة ؟

عدّل (آرثر) حلته ، وقال فى حدة :

ـ إنها لم تكن بتهمة التجسس بعد ، ثم إننى لا أستطيع كشف أسرار عملائى ، والمحامى الذى يفعل هذا ، يعدّ خائنا .

جذب (دانى) إبرة مسدسه ، وقال :

ـ ماذا تفضّل إذن ؟.. محاميا خائنا على قيد الحياة ، أم محاميا شريفا ، فى تابوت أنيق .

تنحنح (آرثر) ، وقال فى حدة :

ـ ومن يحب التوابيت ؟

ثم زفر فى استسلام ، وقال :

ـ إننى أجهل فى الواقع ، اسم من استأجرنى لهذا .

تراجع (فوستر) فى مقعده ، قائلا :

ـ تجهله ؟!.. حقا ؟!

هتف (آرثر) :

ـ أقسم لك إننى أجهل كل شىء عنه .. كل ما أعرفه هو أنه طويل ، وسيم ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، طلب منى الدفاع عن (هانا) هذه ، ودفع بسخاء ، كما نصحنى بالتحدّث إليها بالعبرية ، وقال إن اختياره قد وقع علىّ بالذات ؛ لأننى أجيدها تماما .

ردد (فوستر) ، وهو يعقد حاجبيه ، فى تفكير عميق :

ـ بالعبرية ؟!.. ولماذا العبرية بالذات ؟

أجابه (آرثر) :

ـ لأنها إسرائيلية .. هذا ما قاله الرجل .

همّ (دانى) بقول شىء ما ، فى نفس اللحظة التى دخل فيها أحد الرجال ، وهو يقول :

ـ معذرة أيها الرئيس ، ولكننى أحمل تقرير فحص البصمات ، وتقرير الكمبيوتر ، ولقد طلبت الاطلاع عليهما فور ظهورهما .

مدّ (فوستر) يده إليه ، وقال فى لهفة :

ـ إلىّ بهما .

ناوله الرجل التقريرين ، وغادر المكان فى سرعة ، فراجعهما (فوستر) فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى وجه (آرثر) ، وهتف :

- مستحيل !.. لم أكن أتوقع هذا بالفعل .
واشتعل الفضول فى قلب (دانى) ..

* * *

تضاعف التوتر فى أعماق مدير مستشفى السجن المركزى، وهو يقف فى نافذة حجرته ، إلى جوار مفتش التحقيقات الفيدرالى ، يتابعان الجنود ، وهم ينقلون (حسام) الى سيارة الإسعاف الكبيرة ، التى تحمل شعار الشرطة الفيدرالية (إف . بى . آى) ، وقال المدير فى عصبية :

- معذرة ياسيادة المفتش ، ولكن كل هذا يتمّ على نحو غير رسمى .. احم .. أعنى أن المسئولية ..

قاطعه المفتش فى صرامة :

- قلت لك : إننى أتحمّل المسئولية كاملة .

ثم اتجه إلى مكتب المدير ، والتقط ورقة وقلمًا ، وكتب عبارتين سريعتين ، ذيّلهما بتوقيعه ، وهو يستطرد :

- وهذا إقرار رسمى منى بهذا .

شعر المدير بالارتياح ، وهو يقرأ الإقرار المختصر ، ثم وضعه فى جيبه بعناية كبيرة ، وقال :

- هذا أفضل بالتأكيد .

مطّ المفتش شفتيه ، دون أن يعلّق بكلمة واحدة ، وتابع فى اهتمام عملية نقل (حسام) إلى سيارة الإسعاف ، وشاهد سائقها البدين ، وهو يقودها إلى خارج السجن ، ثم ينطلق بها مبتعدًا ، فاعتدل قائلاً :

- الآن يمكننا استكمال تحقيقنا أيها المدير .

سرى التوتر مرة أخرى ، فى جسد المدير ، وهو يقول :

- كما تشاء ياسيدى

عقد المفتش كفيه خلف ظهره ، وسأله فى صرامة :

- أما زلت تنكر مسئوليتك ، عن مصرع مساعدك ؟

تنهد المدير ، وقال :

- أقسم لك إننى لم أكن أقصد أبدًا أن ..

قاطعهما دخول مباغت لرجل متين البنيان ، عريض المنكبين ، اقتحم الحجرة على نحو يخلو من الذوق واللياقة ، وهو يقول :

- أين المدير ؟

هتف به المفتش فى غضب :

- كيف تجرؤ على اقتحام الحجرة هكذا ؟.. ومن سمح لك بالوصول الى هنا ؟

قال الرجل فى صرامة :

- لاأحد يمكنه اعتراضى ، فأنا مفتش التحقيقات الفيدرالى ، ومن حقى دخول أى سجن ، فى أية لحظة .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، وهو يهتف :

- أنت مفتش التحقيقات الفيدرالى ؟!.. من هذا الشخص إذن ؟

ابتسم المفتش الأوّل ، وقال فى سخرية :



فدفع الباب بقدمه ليغلقه ، وقفزت قدمه الأخرى ، فى اللحظة نفسها ، لتضرب وجه المفتش الحقيقى ..

ـ صديق قديم .

لم يكد ينطقها ، حتى تحرّك فى سرعة مذهلة ، فدفع الباب بقدمه ليغلقه ، وقفزت قدمه الأخرى ، فى اللحظة نفسها ، لتضرب وجه المفتش الحقيقى ، ثم اندفعت قبضتاه تمسكان هذا الأخير من سترته ، وحمله فى خفة ، كما لو كان طفلًا صغيرًا ، وألقاه فوق المدير ، الذى جمده الذهول فى مقعده ، فسقط بـ المفتش أرضًا ، قبل أن ينبس بحرف واحد ..

وفى هدوء عدّل المفتش القديم ثيابه ، أمام عينى المدير ، الذى هتف بصوت مختنق :

ـ أأنت مفتش زائف ؟

تبدّل صوت المفتش ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هذا حقيقى ، يا أغبى مدير مستشفى فى العالم .

اتسعت عينا المدير فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ هذا الصوت .. إنك .. إنك الدكتور (جرين) .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى سخرية :

ـ يالك من عبقرىّ !

حدّق المدير فى وجهه لحظة ، فى ذهول كامل ، ثم لم يلبث جسده كله أن انتفض ، وهو يهتف :

ـ ولكنك لن تنجو هذه المرة .

وقبل أن يدرك (أدهم) ماسيفعله المدير ، كان الرجل قد اختطف آلة الاتصال الداخلىّ ، من فوق مكتبه ، وضغط زر مكبرات الصوت ، وهو يصرخ :

- أوقفوا مفتش التحقيقات .. إنه زائف .

ورددت مكبرات الصوت صيحته ، فى كل أرجاء المكان ..

* * *

لم يستطع (دانى) السكوت ، وهو يتطلع إلى رئيسه ، فهتف وقد غلبه فضوله تمامًا :

- ماذا هناك أيها الرئيس ؟.. أهو شخص زائف ؟

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وبدا كالمصدوم ، وهو يقول :

- كنت أتوقع هذا .. بل كنت واثقًا منه تمامًا ، ولكن التقريرين حملا جوابًا عكسيًا .

وعاد يحدق فى وجه (آرثر) ، مستطردًا :

- إنه حقيقى .

هتف (آرثر) فى غضب :

- بالطبع إننى شخص حقيقى .. ماذا كنت تتصورنى ؟.. إنسانًا آليًا ؟!

صاح به (فوستر) فى غضب :

- اصمت .

ثم التفت إلى (دانى) ، متابعًا فى عصبية :

- ألق هذا الرجل خارجًا ، واحرص على أن يجهل أين كان بالضبط .

قال (آرثر) فى حدة :

- وماذا عن الاعتذار ؟

هتف (فوستر) محنقًا :

- يبدو أنك تدفعنى دفعًا ، لأطلب من هذا الرجل قتلك .

تراجع (آرثر) ، ولوّح بكفيه ، هاتفًا :

- لا .. إننى أتنازل عن الاعتذار .

ثم نهض مستطردًا :

- المهم أن أغادر هذا المكان .

صاح به (فوستر) :

- هيا .. اغرب عن وجهى .

اصطحب (دانى) (آرثر) خارجًا ، فى حين بقى (فوستر) لحظات صامتًا ، ثم التقط ملف (منى) مرة أخرى ، وراح يطالعه ، وهو يردد :

- أمن الممكن هذا ؟!

رددها عدة مرات ، وراحت فكرة عجيبة ، تتكوّن فى رأسه ..

عجيبة للغاية ..

* * *

لم يكد مدير مستشفى السجن يطلق صرخته ، عبر مكبرات الصوت ، إلى كل أنحاء المكان ، حتى قال (أدهم) فى هدوء :

- أنت أردت هذا .

وهوى بقبضته على فك المدير كالقنبلة ، ثم انحنى يمسك مفتش التحقيقات الحقيقى من سترته ، ورفعه أمامه ، وقال ساخرًا :

- معذرة يا رجل ، ولكنك ستصبح وسيلتى للخروج من هنا .

وبحث تحت سترة الرجل فى سرعة ، لينتزع مسدسه ، ووضعه فى قبضته . ثم اندفع معه إلى الباب ، واقتحمه فى عنف ، وهو يضغط سبابة الرجل ، لتنطلق رصاصة عشوائية من المسدس ، ويصرخ :

- النجدة .. إنه مفتش زائف .

بدا المشهد للحراس ، القادمين من نهاية الممر ، كما لو أن (أدهم) يتقاتل مع الرجل الفاقد الوعى ، والذى ساعدت مهارة (أدهم) على جعله يبدو متيقظًا ، وهو يمسك به فى شدة ، ويلقى نفسه معه أرضًا ، على نحو يوحى بأن الرجل هو الذى أوقع به ، وصاح :

- أسرعوا .. إنه يحاول الفرار .

ثم اعتدل ، وهوى على فك الرجل بلكمة معقولة ، قبل أن يتركه يسقط عند قدميه ، ويهبّ واقفًا ، ثم يلهث فى شدة ، على نحو مدروس للغاية ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها الحرّاس ، فصاح بهم ، وهو يشير إلى الرجل :

- إنه زائف .. من سوء حظه أننى كنت هنا ، وكشفت أمره .

نجحت لعبته تمامًا ، فقد أسرع بعض الحرّاس يحيطون معصمى الرجل بالأغلال ، فى حين سأل قائدهم فى قلق :

- وماذا أصاب المدير ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يحلّ حلته ورباط عنقه :

- لقد هاجمه ذلك الزائف ، وأفقده الوعى ، قبل أن اشتبك معه .

وزفر فى قوة ، مستطردًا :

- كان موقفًا رهيبًا .

اندفع قائد الحرّاس إلى حجرة المدير ، وهتف :

- إنه يحتاج إلى إسعاف أوّلى .

هتف (أدهم) ، وهو يلوّح بيده فى توتر :

- وأنا أحتاج إلى الخروج من هنا ، فلم تعد أعصابى تحتمل المزيد .

تردّد قائد الحرّاس ، وهو يقول :

- بهذه السرعة ؟! .. ألن تنتظر حتى يستعيد المدير وعيه ؟

لوّح (أدهم) بكفيه ، وقال مصطنعًا التوتر العصبى :

- يمكننى أن أعود مرة أخرى ، فلست أحتمل البقاء هنا .

تردّد قائد الحرّاس مرة أخرى ، ولكنه لم يملك إلا أن يغمغم :

- كما تشاء ياسيّدى .. كما تشاء .

استدار (أدهم) ليغادر الحجرة ، وهو يقول :

- اتصل بى فور استعادة المدير لوعيه .. ستجدنى فى مكتبى ، أو ...

قاطعه صوت المدير ، وهو يقول فى إعياء :

- إلى أين ؟

هتف قائد الحرّاس :

- سيدى .. لقد استعدت وعيك .

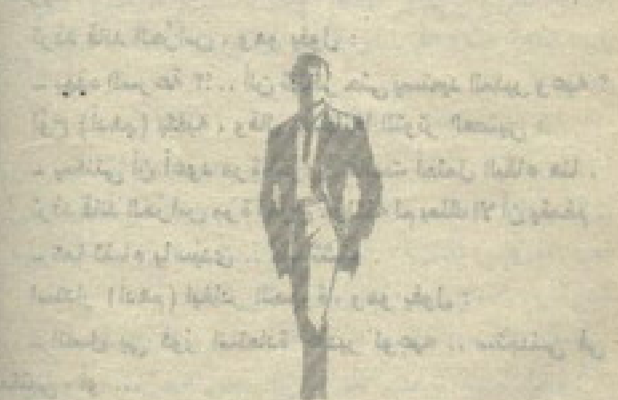
ولكن المدير صاح ، وهو يشير إلى (أدهم) :

- أوقفوا هذا الرجل .. إنه المفتش الزائف .

وانفجرت القنبلة ..

ولم يعد هناك مفرٌ من المواجهة .

★ ★ ★



٨ ـ عبر نيويورك ..

عبرت سيارة الإسعاف الحديثة ، التى تحمل شعار الشرطة الفيدرالية ، ممر الإقلاع الطويل ، فى ذلك المطار الخاص ، شرق (نيويورك) ، وتوقفت أمام طائرة خاصة ، تشير العلامات المنتشرة فوقها ، إلى أنها ذات طابع طبى خاص ، وهبط سائق سيارة الإسعاف البدين ، وجفف عرقه ، على الرغم من اعتدال المناخ ، وسأله قائد الطائرة الطبية ، فى توتر ملحوظ :

- أأنت مستعد للإقلاع ؟

أجابه الطيار :

- تمام الاستعداد .. هل أحضرت المريض ؟

أشار السائق ، الذى لم يكن سوى (قدرى) ، إلى السيارة ، وقال :

- إنه بالداخل .

هزّ الطيار رأسه فى ارتياح ، واستدعى طاقم الإسعاف الخاص ، من داخل الطائرة ، وتابعهم (قدرى) ، فى مزيج من القلق والاهتمام ، وهم ينقلون (حسام) الفاقد الوعى ، إلى سرير طبى خاص داخل الطائرة ، ويثبتونه فوقه فى عناية بالغة ، ليعيدوا توصيل قلبه ورأسه بأسلاك أجهزتهم ، فى حين هزّ الطيار رأسه فى حيرة ، وقال لـ(قدرى) :

- يدهشني كثيرًا أن تنقل هذا المريض إلى (المكسيك) .. إنك لن تجد رعاية أفضل من المستشفيات الأمريكية يا رجل .

هزّ (قدري) كتفيه ، وقال :

- والده ملياردير مكسيكي ، ويصرّ على نقله إلى مستشفاه الخاص .

ابتسم الطيّار ، وهو يقول :

- أهناك مليارديرات في (المكسيك) ؟

أجابه (قدري) ، وهو يصعد إلى الطائرة :

- والده فقط .

ثم أضاف في عصبية :

- هيا بنا .. لابد وأن نقلع بأقصى سرعة ، فهم ينتظروننا هناك .

تردّد الطيّار ، وهو يلقي نظرة على سيارة الإسعاف ، وقال :

- وماذا عن السيارة ؟

أجابه (قدري) متوترًا :

- لاتقلق نفسك بشأنها .. سيأتون لاستعادتها بعد قليل .

امتزج التردّد بالشك ، في عيني الطيّار وصوته ، وهو يقول :

- لماذا تحمل السيارة شعار الشرطة الفيدرالية ؟

رسم (قدري) على شفتيه ابتسامة ، نجح في انتزاعها من قلب توتره ، وهو يغمز بعينيه ، قائلاً :

- والده صديق شخصي لرئيس الـ (إف . بي . آي) .

أومأ الطيّار برأسه متفهمًا ، وقال :

- يالأوغاد ! .. هم وحدهم يحصلون على الأفضل دائمًا .

ثم صعد بدوره إلى الطائرة ، واتجه إلى مقعد القيادة ، و(قدري) يسأله :

- هل سنقلع على الفور ؟

أجابه الطيّار :

- سنحتاج إلى بضع دقائق فحسب ، فهناك ثرية أخرى ، من أثرياء (المكسيك) ، ستهبط بطائرتها الخاصة بعد دقيقة واحدة ، وسننتظر هبوط طائرتها ، لنقلع من الممر نفسه .

تطلّع (قدري) من نافذة الطائرة إلى السماء ، ورأى الطائرة الخاصة الصغيرة تهبط على الممر بالفعل ، وتنطلق نحوهم ، قبل أن تتوقف على قيد أمتار قليلة منهم ، في نفس الوقت الذي بدأت فيه طائرته تتحرّك ..

وفجأة تجمّدت الدماء في عروق (قدري) ..

لقد رأى تلك الثرية المكسيكية تهبط من طائرتها ، وعرفها على الفور ..

كانت (سونيا) ..

(سونيا جراهام) ..

* * *

لو راجعنا كل المواقف العصيبة ، والعسيرة ، التى مر بها (أدهم صبرى) ـ وما أكثرها ـ لوجدنا أن أكثر مايميزه فيها ، ومايمنحه نقطة التفوق ، هو أنه ـ عادة ـ أول من يتحرك ..

إنه يستوعب الموقف كله ، ويدرسه ، ويضع خطته ، وينفذها ، قبل أن يدرك الآخرون مايحدث بالضبط ..

وهذا ماحدث ، فى حجرة مدير مستشفى السجن المركزى ..

لقد هتف المدير بعبارته ، وعلت الدهشة الوجوه ، وقبل أن تفارق القلوب ، كان (أدهم) قد جذب إليه قائد الحراس ، وحطم فكه بلكمة كالصاعقة ، ثم انتزع منه مدفعه الآلى ، وأدار فوهته إلى الآخرين ..

وعندما زالت الدهشة ، كانت رصاصات (أدهم) تغمر المكان ..

وكان الممر ضيقًا ، ولامكان فيه للاختباء ، ولاوقت للرد على هذا السيل من الرصاصات ؛ لذا فلم يجد الحراس أمامهم سوى الركض بكل سرعتهم ، فى محاولة للفرار ..

والعجيب أن أحدهم لم يصب برصاصة واحدة ، على الرغم من دوى الرصاصات الذى لم ينقطع خلفهم ..

ولكنها سمة (أدهم صبرى) ..

إنه لن يقتل أبدًا ، مادامت لاتوجد ضرورة لهذا ..

ولن يضربهم فى ظهورهم قط ..

ولقد نجح ، دون أن يفعل هذا وذاك ، ففى أقل من دقيقة

واحدة ، كان الحراس قد أخلوا الممر تمامًا ، واحتموا بنهايته ، وراحوا يطلقون النار بدورهم ، لولا أن ارتفع صوت المدير يهتف :

ـ توقفوا .. لاتطلقوا النار .

توقف الحراس عن إطلاق النار ، وهم يشعرون بالدهشة لمثل هذا الأمر ، والعجيب أن أكثرهم دهشة كان المدير نفسه ، الذى حدق فى وجه (أدهم) فى ذهول ، بعد أن استخدم هذا الأخير صوته ، فى مهارة مذهلة ، ليلقى الأمر ، قبل أن يندفع نحوه ، ويجذبه إليه فى عنف ، قائلًا :

ـ لديكم هنا هليوكوبتر طوارئ بالتأكيد .

كان المدير يرغب فى الإنكار ، إلا أنه وجد نفسه يجيب فى رعب :

ـ نعم .. لدينا واحدة ، فى الساحة الخلفية .

قال (أدهم) :

ـ هذا يكفى .

ثم هوى على فك المدير بلكمة كالقنبلة ، سقط لها الرجل أرضًا كجثة هامدة ، فى حين قفز (أدهم) خارج الحجرة ، وراح يعدو عبر الممر الطويل ، فى طريقه إلى بابه الخلفى ..

ومع وقع أقدامه ، شعر الحراس بالقلق ، وقرر أحدهم تجاوز أوامر المدير ، فانحنى إلى الخارج ، وراح يطلق النار على (أدهم) ، الذى بلغ الباب الخلفى فى اللحظة نفسها ،

فتحه ، وتركه يتلقى الرصاصات عوضًا عنه ، وهو يقفز درجات السلم قفزًا ، في طريقه إلى الفناء الخلفي ..

واندفع الحرَّاس خلفه ..

وفي الفناء ، استقبله عدد آخر من الحرَّاس المسلحين ، ولكنه بادرهم بسيل من رصاصاته ، وهو يشق الفناء في جسارة مذهلة ، نحو الهليوكوبتر الصغيرة ، القابعة في منتصفه ..

لم يكن الموقف سهلًا أبدًا ، وعلى الرغم من هذا ، كان (أدهم) يشعر بسعادة غامرة ..

صدقني .. إنك لم تخطئ العبارة ..

كان يشعر بالسعادة ..

ربما لأن الموقف ذكّره بالأيام الخوالي ..

أيام القتال والصراع ..

أو لأنه يعمل من أجل (مصر) ، ولو لم يكن عضوًا بالمخابرات المصرية ..

المهم أنه عاد ..

عاد إلى القتال والصراع ..

إلى الحياة التي يهواها ..

بل يعشقها ..

كان يُطلق رصاصات مدفعه في سخاء ، والرصاصات الأخرى تنهمر حوله ، دون أن يبالي أو يتوقف ..

وبقفزة ماهرة ، رشيقة ، مدهشة ، لاريب أنها لن تمحى في سهولة ، من ذاكرة من رأوها ، وثب إلى الهليوكوبتر ، وأدار محركاتها ، وهو يواصل إطلاق النار ، على نحو أجبر الجميع على إحناء رءوسهم ، بعد أن أطاحت رصاصاته بأسلحتهم ..

وارتفعت الهليوكوبتر ..

ارتفعت لتعلو جدران السجن ، ثم تندفع مبتعدة عنها ، ورصاصات الحرَّاس تتابعها في حنق وغضب ..

وفي السجن ، اندفع أحد الحرَّاس إلى حجرة الإرسال ، والتقط مسماع لاسلكي الطوارئ ، وهتف :

ـ النجدة .. النجدة .. محاولة فرار .. لقد استقل شخص مزيَّف هليوكوبتر المستشفى ، وفرّ بها إلى الخارج .. النجدة .

لم يكد قسم الطوارئ يتلقى نداء الاستغاثة ، حتى صدرت الأوامر لطائرتي هليوكوبتر ، بتعقب الطائرة الهاربة ، وإجبارها على الهبوط ، أو نسفها في الجو ..

وانطلقت الطائرتان خلف طائرة (أدهم) ..

ولأن فارق القوة رهيب ، بين الهليوكوبتر المقاتلة ، وهليوكوبتر إسعاف بسيطة ، فقد لحقت الطائرتان بهليوكوبتر (أدهم) ، في سماء (نيويورك) ، وتلقى (أدهم) تحذيرًا لاسلكيًا صارمًا ، يقول :

ـ اهبط بالهليوكوبتر يا رجل .. إننا نحاصرك من الجانبين .. اهبط وإلا تعرَّضت لقصف مباشر .

التقط (أدهم) جهاز اللاسلكى فى الهليوكوبتر، وقال فى سخرية :

ـ لقد أثرتما خوفى .. إذهبا إلى الجحيم، وسألحق بكما فيما بعد .

قالها وانخفض بطائرته بغتة، لينطلق بها بين ناطحات السحاب، فى مهارة يُحسد عليها ..

ولكن قائدى الطائرتين الأخريين، لم يكونا أقل مهارة؛ لذا فقد انخفضا بدوريهما، واندفعا خلفه، بين البنايات الهائلة ..

وأطلق أحد الطيارين نيران الهليوكوبتر، نحو هليوكوبتر (أدهم) الصغيرة، ولكن (أدهم) ارتفع بطائرته بغتة، فتجاوزته الرصاصات، وأصابت زجاج الطابق الثلاثين، لناطحة سحاب مقابلة، فهتف الطيّار الآخر فى زميله :

ـ هل جننت يارجل ؟.. إنك ستقلب الدنيا فوق رءوسنا، لو أصبت مدنيًا واحدًا .

أجابه زميله فى حنق، عبر جهاز اللاسلكى :

ـ أنتركه يفلت إذن ؟

قال الأول فى حدة :

ـ بل نحاصره، ونجبره على الهبوط .

أجاب الثانى، وهو يرتفع بطائرته خلف (أدهم) :

ـ نحاصره ؟!.. إننى لم أر فى حياتى كلها من هو أكثر منه مهارة، وقدرة على المراوغة، بطائرة بدائية كالتى يقودها .

قال الأول فى حزم، وهو يرتفع بدوره :

ـ اطمئن .. طائراتنا تفوقه قوة وسرعة وتجهيزًا .

ولكن (أدهم) عاد ينخفض بالهليوكوبتر بغتة، وانحنى ليمرّ بها بين ناطحتى سحاب، فى مهارة مدهشة، قبل أن يختفى خلف عدد من ناطحات السحاب، فهتف أحد الطيارين، وهو يحاول اللحاق به :

ـ كيف يفعل ذلك الشيطان هذا ؟

لحق به زميله، وهو يقول :

ـ لست أدرى، ولكننا سنلحق به خلف هذه البنايات، و ...

قبل أن يتمّ عبارته، صاح به زميله :

ـ احترس .. إنه خلفك .

انتفض الرجل فى دهشة، وأدار رأسه إلى طائرة (أدهم)، التى دارت حول المبنى، وباغتته من الخلف، وهتف :

ـ كيف فعل هذا ؟

صاح به زميله، وهو يستدير عائدًا إليه :

ـ احترس .. إنه يصوّب إليك مسدسه .

هتف الرجل :

ـ مسدسه ؟!.. أيواجه هليوكوبتر مقاتلة بمسدس .

ولكن (أدهم) أطلق رصاصات مسدسه، وأصاب المروحة الخلفية للهليوكوبتر، وخزان الوقود، ثم انحرف يختفى بين ناطحتى سحاب أخريين ..

واختل توازن الهليوكوبتر ، وراحت تدور حول نفسها فى عنف ، فصاح قائدها ، وهو يبذل قصارى جهده للسيطرة عليها :

ـ لقد أصابنى ذلك اللعين .. سأضطر للهبوط .

هتف زميله فى حنق :

ـ سأسحقه سحقًا .

وترك زميله يهبط اضطراريًا ، فوق سطح ناطحة سحاب قريبة ، واندفع خلف هليوكوبتر (أدهم) ، ولحق بها فى سرعة ، بفضل محركات طائرته القوية ، وهتف :

ـ هيا .. اذهب إلى الجحيم .

وأطلق نيرانه على الهليوكوبتر فى غضب ..

وسمع (أدهم) صوت الرصاصات ، وهى ترتطم بجسم الطائرة ، فارتفع بها فى حركة حادة عنيفة مباغتة ، احتملها جسم الهليوكوبتر فى صعوبة ، ودار دورة رأسية رائعة ، لينقضّ على الهليوكوبتر الثانية من الجو ..

ومرة أخرى ، أطلق (أدهم) رصاصات مسدسه على الهليوكوبتر الثانية ..

وصرخ الطيّار :

ـ أى شيطان هذا ؟

كان (أدهم) قد أصاب محرك طائرته إصابة فادحة ، تضطره إلى الهبوط كزميله ، فمال نحو أقرب الأسطح إليه ، وهو يشعر

فى أعماقه بمرارة شديدة ، عزاؤه الوحيد فيها هو خيط الدخان الأسود ، الذى ينبعث من هليوكوبتر (أدهم) ، ويشف عن اضطرارها إلى الهبوط بدورها ..

وفى حنق وتوتر ، التقط الطيّار مسماع جهاز اللاسلكى ، وقال :

ـ لم نتمكّن من الإيقاع بذلك الشيطان ، ولكنه مضطر للهبوط فى المنطقة السابعة .. حاصروا المنطقة كلها ، ولاتسمحوا له بالفرار .

أما (أدهم) ، فقد أدرك بدوره ضرورة الهبوط ، فانخفض نحو بناية قريبة ، وهبط على سطحها فى رفق ، ثم قفز من الهليوكوبتر ، وأسرع يستقل المصعد ، ويهبط سبعة عشر دورًا ، ثم اندفع نحو مدخل البناية ، حيث اعترضه حارسها الخاص ، هاتفًا :

ـ من أنت ؟ وكيف صعدت إلى البناية ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ ومن قال إننى صعدت إليها ؟.. إننى أهبط فحسب .

قال الحارس فى حدة :

ـ إننى أسألك جوابًا واضحًا .

قال (أدهم) :

ـ وقد منحتك إياه .

استلّ الحارس مسدسه ، وهويقول فى صرامة :



أما (أدهم) ، فقد أدرك بدوره ضرورة الهبوط ، فانخفض نحو بناية قريبة ، وهبط على سطحها فى رفق ، ثم قفز من الهليوكوبتر ..

- يبدو أنك تميل إلى الأساليب العنيفة .

ركل (أدهم) المسدس من يد الحارس بحركة سريعة ، وهو يقول :

- هذا صحيح .

ثم هوى على فكه بلكمة قوية ، مستطردًا :

- لسوء حظك .

سقط الحارس فاقد الوعى ، فتجاوزه (أدهم) بقفزة رشيقة ، واتجه إلى الباب وفتحه فى مهارة ، ثم اندفع إلى الخارج ، فى نفس اللحظة التى برزت فيها سيارة الشرطة ، وهى تطلق بوقها المميّز ، وهتف أحد رجلى الشرطة فيها :

- قف يا رجل ، وإلا ..

استدار (أدهم) فى سرعة إلى السيارة ، وأطلق رصاصاته نحو إطاراتها ، قائلاً فى سخرية :

- وإلا ماذا ؟

انفجر الإطاران الأماميان للسيارة ، وانحرفت فى عنف ، لترتطم بإفريز مجاور ، وتقفز فوقه ، ثم تصطدم بجدار المبنى المواجه له ، فى حين انطلق (أدهم) مبتعدًا ، وانحرف فى أوّل طريق جانبى ، واتجه نحو رجل يهمّ بركوب سيارته ، وقال فى هدوء :

- معذرة يا سيّدى .. هل تؤمن على سيارتك ضد الحوادث ؟

أجابه الرجل فى دهشة :

- بالتأكيد .. لماذا تسأل ؟

دفعه (أدهم) جانبًا ، وهو يقول :

- حتى لايفتك بى تأنيب الضمير .

قفز داخل السيارة ، وانطلق بها ، مع ظهور سيارتى شرطة ، صاح بهما صاحب السيارة :

- النجدة .. إنه يسرق سيارتى .

تجاوزته سيارتا الشرطة ، وهما تنطلقان لمطاردة (أدهم) ، الذى بدا أشبه بالصاروخ ، وهو يشق شوارع (نيويورك) المزدحمة بسيارة الرجل ، الذى راح يصرخ :

- لقد سرق سيارتى .. لماذا لايستمع إلىّ أحد ؟

قفز (أدهم) بسيارته فوق الإفريز ، وانطلق بسرعة كبيرة ، مجبرًا المارة على إفساح الطريق أمامه ، ثم لم يلبث أن تجاوزه ، وانحرف فى شارع جانبى ، وسيارتا الشرطة تطاردانه فى استماتة ، وأحد الضباط داخلها يقول عبر جهاز اللاسلكى :

- إنه ينطلق إلى المنطقة التاسعة ، عبر الشارع الخامس والثلاثين .. حاولوا اعتراض طريقه .

انطلق (أدهم) بسيارته عبر طرقات متداخلة ، وكأنما يعرف طريقه جيدًا ، حتى بلغ شارعًا واسعًا ، يقود إلى الميناء مباشرة ، فزاد من سرعة سيارته ، وانطلق فى خط مستقيم ..

وفجأة لاح له الكمين ..

كانت هناك سيارتان ضخمتان ، من سيارات الشحن

العملاقة ، تعترضان طريقه ، وقد التقت مقدمتاهما ، ولم تتركا بينهما سوى مساحة صغيرة ، لاتكفى حتمًا لمرور السيارة ..

وكانت سيارتا الشرطة خلفه ..

وبدلًا من أن يخفف (أدهم) سرعته ، رآه الجميع يندفع بكل قوته نحو الشاحنتين ، فهتف أحد رجال الشرطة فى دهشة :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟.. هل يزمع الانتحار ؟..

ولكن (أدهم) قفز بإطار السيارة الأيمن فوق صندوق صغير ، وهو يدير عجلة القيادة إلى اليسار ، فارتفع إطاراها من الجانب الأيمن ، وواصلت انطلاقها ، على جانبها الأيسر فحسب ..

وأمام العيون الذاهلة ، انطلقت السيارة فى وضع شبه رأسى ، على إطاريها الأيسرين فقط ، وعبرت تلك الفجوة الضيقة ، بين الشاحنتين ، ثم اعتدلت ، وارتطم الإطاران الآخران بالأرض فى عنف ، قبل أن تواصل انطلاقها ..

وتوقفت سيارتا الشرطة فى عنف ، وصاح أحد ضباطهما :

- يا للشيطان !.. كيف فعل هذا ؟

ثم اختطف مسماع اللاسلكى ، وقال فى حدة :

- لقد نجا الشيطان مرة أخرى .. إنه يتجه إلى الميناء .. حاصروه مرة أخرى ، ولكن أطلقوا عليه النار مباشرة هذه المرة .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

- ربما كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة لإيقافه .

وأنهى الاتصال ، متمتمًا :

- ربما .

أما (أدهم) ، فقد واصل انطلاقه بالسيارة نحو الميناء ، حتى رأى سيارتى الشرطة ، اللتين تعترضان طريقه ، وأمامهما عدد من الصناديق الفارغة ، يحتمى بها حشد من رجال الشرطة ، يصوبون بنادقهم إليه ..

ثم انطلقت البنادق كلها نحو سيارته ..

واشتعل جحيم حقيقى .

* * *



٩ - الفكرة المجنونة ..

كاد (فوستر) يستشيط غضبًا ، وهو يفحص مستشفى السجن المركزى ، بعد كل ما سببه (أدهم) فيها من دمار ، وبدا غضبه هذا واضحًا فى صوته ، وهو يقول لمدير المستشفى فى حدة :

- نفس الشخص يخدعك مرتين أيها المدير ؟! .. ألا تشعر بالعار ؟

هتف المدير فى حنق :

- وكيف لى أن أعرفه .. لقد جاء بلهجة مختلفة ، وصوت مختلف ، وهيئة جديدة تمامًا ، حتى أن أمه نفسها لم يكن بإمكانها تعرفه .

صاح (فوستر) :

- هكذا ؟! .. كنت أتوقع منك اعترافًا صريحًا بالفشل .

قال المدير غاضبًا :

- وما شأنك أنت بالفشل والنجاح هنا ؟ .. لقد نبهنى ذلك الرجل ، أيًا كان ، إلى حقيقة شديدة الأهمية ، فأنت ترتكب مخالفة دستورية شديدة ، بتدخلك فى هذا الأمر ، وسأبلغ الشرطة الفيدرالية بهذا .

صاح به (فوستر) :

- افعل مايحلو لك . لو أنك مازلت صفيقًا إلى هذا الحد .. أنسيت يا رجل أن حماقتك تسببت فى خسارتنا لجاسوس بالغ الأهمية ، بعد أن وضعنا أيدينا عليه .. إنك ستفقد وظيفتك على الأقل بسبب هذا .

شحب وجه المدير ، وقال فى عصبية :

- لن أفقدها وحدى .

لوح (فوستر) بيده ، فى حركة سوقية ، ثم أشار إلى (دانى) ، قائلًا :

- هيا يا (دانى) .. مازالت رائحة هذا المكان تصيبنى بالغثيان .

تبعه (دانى) إلى الخارج ، وهو يقول :

- من الواضح أننا لانواجه رجلًا عاديًا .

جلس (فوستر) داخل سيارته ، وهو يقول فى توتر :

- لدى فكرة مجنونة فى هذا الشأن :

سأله (دانى) ، وهو يجلس خلف عجلة القيادة ، ويدير المحرك :

- ما هى ؟

صمت (فوستر) لحظة ، حتى انطلق (دانى) بالسيارة ، ثم أجاب :

- لو افترضنا أن الملف ، الذى أعطانا إياه (إيزاك) صحيحًا ، وأن (هانا) - فى الواقع - فتاة مخابرات مصرية ، فهذا يقودنا حتمًا إلى زميلها القديم .

سأله (دانى) فى اهتمام :

- من هو ؟

أجاب (فوستر) :

- شخص تعرفه جيدًا يا (دانى) .. اسمه (أدهم) ... (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (دانى) فى عنف ، وضغط فرامل السيارة بحركة غريزية ، فتوقفت فى عنف ، قبل أن يهتف :

- (أدهم صبرى) ؟! .. ولكن هذا مستحيل أيها الرئيس .. لقد لقى (أدهم صبرى) مصرعه ، منذ عام ونصف العام ، فى صحراء (المكسيك) ، وملفاتنا تؤكد هذا تمامًا .

تنهد (فوستر) ، وقال :

- ألم أقل لك إنها فكرة مجنونة ؟

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يستطرد :

- ولكنها فكرة تستحق الاهتمام يا (دانى) .. والدراسة أيضًا .

وعاد (دانى) ينطلق بالسيارة ..

* * *

انهمرت الرصاصات كالمطر على سيارة (أدهم) ، إلا أنها واصلت طريقها بنفس السرعة ، وكأن شيئًا لم يحدث ، باستثناء أن (أدهم) قد خفض رأسه ، متفاديًا سيل الرصاصات ، الذى حطم مصابيح السيارة ، وزجاجها الأمامى ، قبل أن يصرخ أحد رجال الشرطة ، وهو يخفض بندقيته ، ويعدو مبتعدًا :

ـ إنه مجنون حتمًا .

تبعه زملاؤه فى خوف ودهشة ، والسيارة تنقض عليهم ، وكأن قائدها يبغى الانتحار ، أو لايهاب الموت قط ..

ثم قفز الإطاران الأماميان للسيارة فوق الصناديق ، التى كان يحتمى بها رجال الشرطة ، ووثبت السيارة كلها وثبة هائلة ..

وثبة جعلتها تطير فوق سيارتى الشرطة ، اللتين تعترضان الطريق ، وتتجاوزهما ، لتهبط على إطاراتها خلفهما فى عنف ، ثم تنزلق لحظات ، توحى بأن قائدها يحاول السيطرة عليها فى قوة ، قبل أن تواصل انطلاقها نحو الميناء ..

وفى ذهول كامل ، حدّق رجال الشرطة فى السيارة المبتعدة ، وقال أحدهم ، وفكه مدلى دهشة :

ـ لقد فعلها .. لم أتصور أبدًا أن هذا يحدث فى الحقيقة .. كنت أظن أنه مجرّد حيل سينمائية ، أو ..

قاطعه رئيسه فى حدة :

ـ لاتقف جامدًا هكذا يارجل .. استقل سيارتك ، لنطارد هذا المجنون .

ردد الشرطى :

ـ مجنون ؟!

وهز رأسه فى استنكار ، ثم استقل سيارته ، وانطلق مع السيارة الأخرى خلف سيارة (أدهم) ..

وبلغت المطاردة الميناء ، وشعر رجال الشرطة بالدهشة ، عندما واصل (أدهم) انطلاقه بالسيارة ، نحو حاجز الميناء مباشرة ، وغمغم (أحدهم) :

ـ ماذا ينوى هذا المجنون ؟.. هل يزمع الانتحار ؟

لم يكد ينطقها حتى تفجّر الذهول فى أعماقه ، وضغط فرامل سيارته بكل مايملك من قوة وعنف ، وهو يحدّق فى سيارة (أدهم) ، التى ارتطمت بالحاجز ، وقفزت فى الهواء لعدة أمتار ، قبل أن تهوى إلى مياه المحيط ، وترتطم بها فى عنف ، ثم تغوص فى أعماقها ببطء ..

وغادر رجال الشرطة سياراتهم ، واندفعوا حاملين أسلحتهم إلى الحاجز ، وتطلّعوا مع عدد من عمال الميناء إلى مؤخرة السيارة ، التى ارتفعت إلى أعلى فى هدوء ، ثم غاصت إلى الأعماق ، دون أن يظهر أدنى أثر لقائدها ..

وعادت مياه المحيط تجرى فى هدوء ..

* * *

دق المقدّم (أشرف) باب حجرة مدير المخابرات العامة المصرية ، وانتظر حتى سمع المدير يدعوه للدخول ، فدفع الباب ، ودخل إلى الحجرة فى ارتباك وحيرة واضحين ، جعلا المدير يسأله فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (أشرف) ؟

رفع (أشرف) ورقة أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ لقد وصلتنا رسالة (فاكسميلى) من (المكسيك)(*) ، أثارت دهشتنا وحيرتنا كثيرا ، خاصة مع مقارنتها بتلك الأخبار ، التى أرسلها مندوبنا فى (نيويورك) ، على وجه السرعة .

بدا الاهتمام البالغ على وجه المدير ، وهو يقول :

ـ أخبرنى مالديكم ، وربما أمكننى إخماد نيران دهشتكم وحيرتكم .

هزّ (أشرف) رأسه ، وكأنما لم يستوعب الأمر بعد ، ثم قال :

ـ فلنبدأ بالأخبار الواردة من مندوبنا فى (نيويورك) ياسيّدى .. فهو يقول : إن شخصًا مجهولاً نجح فى خداع حرّاس ومدير مستشفى السجن المركزى ، وأخرج (حسام) من سجنه .

هبّ المدير من خلف مكتبه ، هاتفًا فى انفعال :

ـ أخرج (حسام) ؟!

أومأ (أشرف) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ليس هذا فحسب ياسيّدى .. لقد كشف مدير السجن زيف ذلك الشخص المجهول ، بعد أن غادر (حسام) المكان بالفعل ، فى سيارة إسعاف خاصة ، تحمل شعار الشرطة الفيدرالية . وعلى الرغم من أن هذا الشخص كان داخل جدران مستشفى السجن ، عندما انكشف أمره ، إلا أنه نجح فى بلوغ الفناء الخلفى ، وفى الفرار بواسطة هليوكوبتر طوارئ صغيرة ، فانطلقت خلفه طائرتا هليوكوبتر مسلحتين قويتين ، ولكنه ..

(*) الفاكسميلى : وسيلة حديثة ، لنقل الصور والرسائل ، عبر أسلاك الهاتف .

تألّقت عينا المدير ، وهو يكمل فى حماس :

ـ ولكنه أسقطهما .

حدق (أشرف) فى وجهه بدهشة ، ثم قال :

ـ لست أدرى كيف أمكنك استنتاج هذا الأمر المذهل ياسيّدى ، ولكن هذا ماحدث بالفعل ، فلقد نجح ذلك الشخص المجهول ، بوساطة هليوكوبتر بسيطة ، ومسدّس عادى ، فى إسقاط طائرتى الهليوكوبتر المسلحتين ، وبمهارة مذهلة ، حتى أن قائدى الطائرتين أكدا أنه حتمًا طيّار سابق ، شارك فى عدد ضخم من المعارك الجوية ، حتى يمكنه اكتساب مثل هذه المهارة ، فى حين يصرّ رجال الشرطة ، الذين طاردوه فيما بعد ، عبر شوارع (نيويورك) ، عندما اضطر للهبوط بالهليوكوبتر ، وسرق سيارة قوية ، أنه بطل سباق سابق ، لما أظهره من مهارة ، فى هذا المجال .

ازداد تألّق عينى المدير ، و(أشرف) يتابع فى حيرة :

ـ ولقد انتهت مطاردتهم له فى الميناء ، عندما قفز بسيارته إلى المحيط ، وتصوّر الجميع أنه لقى مصرعه غرقًا ، داخل السيارة ، إلا أن رجال الضفادع البشرية لم يعثروا على أدنى أثر له داخلها ، أو فى المنطقة كلها ، مما يؤكّد أنه قد غادرها حيًّا ، وسبح تحت الماء لمسافة طويلة ، مبتعدًا عن منطقة الحصار كلها .

ارتسمت على شفتى المدير ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

- رائع .
ثم أشار إلى (أشرف) ، واستطرد فى حماس كبير :
- وما الذى وصلنا من (المكسيك) ؟
ازدادت الحيرة فى ملامح (أشرف) ، وهو يقول :
- إنها رسالة شفرية ، تقول : إن (حسام) فى طريقه إلى (القاهرة) ، على متن طائرة طبية خاصة ، وتطلب منا استقباله فى مطار (القاهرة) ، ونقله إلى المستشفى على الفور .
كاد بريق عينى المدير يضىء الحجرة ، وهو يسأل فى لهفة :
- وأى توقيع تحمله هذه الرسالة ؟
حك (أشرف) رأسه ، وهو يقول :
- هذا ما أثار دهشتنا وحيرتنا ياسيدى .. إنها تحمل توقيع (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير .
اتسعت ابتسامة المدير ، لتشمل وجهه كله ، وهو يقول :
- كنت أتوقع هذا .
سأله (أشرف) :
- هل تجد تفسيرًا لكل هذا ياسيدى ؟
قال المدير فى حسم :
- بالتأكيد .
ثم سأل (أشرف) فى حماس :
- أخبرنى أنت : كم رجلًا تعرفه ، فى حياتك كلها ، يمكنه الخروج من سجن حصين ، كما لو كان ملهى ليليًا مرحًا ،

ويستطيع اسقاط طائرتى هليوكوبتر بمسدس واحد ، ويثير دهشة وذهول طاقم شرطة كامل ، ثم ينجح ، فى الوقت ذاته ، فى إخراج شخص متهم بالتجسس ، من مستشفى السجن ، وإرساله إلى (المكسيك) ، ثم منها إلى (القاهرة) .
تردد (أشرف) ، قبل أن يقول فى خفوت :
- ولكن هذا مستحيل ياسيدى !
قال المدير مبتسمًا :
- إنك لم تجب عن سؤالى بعد .. كم رجلًا تعرفه ، يمكنه أن يفعل كل هذا ؟
ارتجف صوت (أشرف) ، على الرغم منه ، وهو يقول :
- رجل واحد .
عادت عينا المدير تتألقان ، وهو يسأله :
- من هو ؟
ارتبك (أشرف) كثيرًا هذه المرة ، ثم لم يلبث أن قاوم مشاعره ، وأجاب ..
وارتجف صوته أكثر ..

* * *

« أدهم صبرى .. » .
نطقها (فوستر) فى عمق ، وهو يتطلع إلى (دانى) ، الذى حدق فى وجهه مرة أخرى فى ذهول ، وقال :
- مستحيل ياسيدى ! .. مستحيل !

مال (فوستر) نحوه ، وقال :

ـ ألديك تفسير آخر ؟

أجاب (دانى) :

ـ ليس حتى الآن ، ولكن هذا لايعنى أن نلجأ إلى هذا الحل الخرافى .. لقد مات ذلك الرجل ، منذ عام ونصف العام ، والموتى لايعودون إلى الحياة ..

هتف (فوستر) :

ـ من نواجه إذن ؟.. ومن غير (أدهم صبرى) يمكنه أن يفعل كل هذا ، وبهذه الإجادة المدهشة .. أنت تعلم كم كان ذلك المصرى يثير انبهارنا .. صحيح أننا لم نعترف بهذا فى حياته قط ، ولكننا كنا ندرس أساليبه ، وندرّسها لرجالنا .. إنه طراز فريد من رجال المخابرات ، يستحيل تكراره ، فكيف تفسّر وجود رجل يمتلك كل ما فعله خصمنا الحالى ، لو لم يكن هذا الرجل هو (أدهم صبرى) نفسه ؟

هزّ (دانى) رأسه فى عناد ، وقال :

ـ (أدهم صبرى) لقى مصرعه ياسيّدى .. ولن يمكنك إقناعى بخلاف هذا .

تنهد (فوستر) ، وهو يتطلّع إليه لحظة ، ثم قال :

ـ يمكننا حسم هذا الأمر .

سأله (دانى) :

ـ كيف ؟

أجابه (فوستر) :

ـ سنطلب تقرير كمبيوتر ، عن تلك الجاسوسة ، التى نحتفظ بها فى السجن الفيدرالى ، ولو وجدنا أن الملف ، الذى أحضره (إيزاك) صحيحا ، فسيعنى هذا أن الفتاة مصرية ، وسيعنى ـ لى أنا بالذات ـ أن خصمنا الحالى هو (أدهم صبرى) نفسه ، حتى ولو جاء ملك الموت نفسه ، ليؤكد لى أننى مخطىء .

أومأ (دانى) برأسه موافقا ، وقال :

ـ فكرة منطقية وجيّدة .

ثم اتجه إلى الباب ، مستطردا :

ـ سأحصل على تقرير الكمبيوتر ، بأسرع ما يمكننى .

تركه (فوستر) ينصرف ، ثم التقط ملف (منى توفيق) مرة أخرى ، وقال محدثًا نفسه :

ـ إنه هو .. أراهن على هذا بحياتى كلها .

والتقط من الملف صورة الرجل ..

رجل المستحيل .

* * *

لم تدر (منى) أبدا ، لماذا تعجز عن النوم ، داخل زنزانتها الضيقة ..

صحيح أنها تعشق الحرية ، وتبغض السجن كل البغض ، إلا أنها ـ كبشر ـ تحتاج حتمًا إلى النوم ..

إلى بضع ساعات منه على الأقل ..

ولكنها لم تنم لحظة واحدة ، منذ وصلت إلى السجن النسائى الفيدرالى ..

ولم تشعر بالأمان لجزء من الثانية ..

وربما كان هذا هو السبب ..

ربما تخشى النوم ..

نعم .. هذا هو السبب حتمًا ..

إنها تعلم أن لحظة نوم واحدة ، قد تساوى عمرها كله ..

ولكن البقاء مستيقظة إلى الأبد مستحيل !..

لقد قرأت مرة ، فى موسوعة الأرقام القياسية ، أن شخصًا نجح فى مقاومة النوم لأربعة عشر يومًا ، وربما أمكنها أن تبلغ هذا الحد ..

هذا إذا استغرقت مشكلتها هذه الفترة فحسب ..

وتنهدت فى عمق ، وهى تستعيد ذكرى لقائها بذلك المحامى فى الصباح ..

لقد تصوَّرت فى البداية أنه (أدهم صبرى) ، وقد أتى إليها متنكرًا ..

وعندما وقع بصرها عليه ، هوى قلبها بين قدميها بالفعل ..

كان طويلاً ، عريض المنكبين ، مثل (أدهم) ، حتى لقد تصوَّرته هو ..

ثم كانت خيبة الأمل ..

إنه لم يكن سوى محامٍ ، استأجره شخص ما للدفاع عنها ، وهذا الشخص قد يكون (أدهم صبرى) ، أو أحد أفراد الادارة ..

كم تتمنى أن تراه ..

كم تحلم بإلقاء نظرة واحدة عليه ، وبعدها لن يعنيها أن تحيا أو تموت ..

إنها لم تحب سواه ، فى عمرها كله ..

ولم تنجح فى نسيانه ..

لم تنجح فى هذا قط ..

إنها تعلم أنه تزوَّج (سونيا جراهام) ..

وأنه أنجب منها ابنًا ..

ولكنها تدرك جيدًا كيف تم هذا الزواج ..

لقد تزوَّج (أدهم) (سونيا) ، وهو يظنها هى ..

هذا عزاؤها الوحيد ..

ولكن لماذا لم يتخلَّ عنها ، بعد أن استعاد ذاكرته ؟..

أبسبب ابنه حقًا ؟ أم لأنه قد أحبَّ (سونيا) ؟..

خفق قلبها فى ذعر ، عندما جالت تلك الفكرة بخاطرها ..

مستحيل !..

مستحيل أن يكون قد أحبَّ (سونيا) ..

لا أحد يعشق عدوه ..

ولكن (سونيا) عشقته ..

هذا ممكن إذن ..

هزت رأسها فى عنف ، وكأنها تنفض عنها هذه الفكرة ..

(أدهم) يختلف حتمًا عن (سونيا) ..

ما من شك فى هذا ..

انتزعها من أفكارها هذه المرة صوت أشبه بالفحيح ، جعلها تعتدل على فراشها فى حركة حادة ، وتحدق فى باب زنزانتها ، الذى انفتح فى هدوء ، دون أن يبدو أمامه أى مخلوق ..

وخفق قلب (منى) فى توتر وقلق ..

ونهضت تجلس على طرف فراشها ، وهى تبحث عن أى شىء ، يمكن أن يصلح كسلاح ، فى مواجهة أى خطر مباغت ، أو ...

سرت فى جسدها ارتجافة عنيفة ، عندما برزت (سيرينا) أمامها بغتة ، وهى تمسك بقبضتها هراوة قصيرة سميكة ، وتبتسم فى سخرية شامتة ..

ومن خلفها ظهرت امرأة ثانية ، وثالثة ، ورابعـة ، وخامسة ..

وكلهن كن يحملن هراوات متشابهة ..

وفى بطء ، اتجهت النساء الست نحوها ، و(سيرينا) تقول :

ـ استعدى يا فتاتى .. حانت لحظة الموت .. موتك .

وبدأ الهجوم .

* * *



انتزعها من أفكارها هذه المرة صوت أشبه بالفحيح ، جعلها تعتدل على فراشها فى حركة حادة ..

١٠ ـ الضربة ..

لم يكد (قدرى) يهبط، فى مطار (نيويورك)، حتى استقل أول سيارة أجرة صادفته، وانطلق بها إلى ذلك المنزل الآمن، الذى استأجره مع (أدهم)، عند وصولهما فى المرة الأولى إلى (نيويورك)، ولم يكد يبلغ المنزل، حتى صعد فى درجات سلمه فى لهفة، ودس مفتاحه فى ثقب الباب، وأداره فى انفعال، ثم دفع الباب، واندفع إلى الداخل، و ...

وتجمدت أطرافه كلها، عندما رأى فوهة المسدس المصوبة إلى رأسه، ثم لم يلبث أن هتف :

ـ (أدهم) !.. كاد قلبى يتوقف بسببك .

أعاد (أدهم) مسدسه إلى غمده، وهو يبتسم قائلاً :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .. هل أديت مهمتك فى (المكسيك)، على خير وجه ؟

جلس (قدرى)، وهو يقول فى حماس :

ـ بالطبع .. لقد استأجرت طائرة طبية خاصة، باسم (دافيد كاهان)، والمفروض ـ طبقًا للمسجل فى الشركة التابعة لها ـ أنها ستتجه إلى (إسرائيل)، وسيقسم الطيار على هذا، بعد أن حصل على ذلك المبلغ السخى، مع وعد بالحصول على مبلغ مماثل، بعد عام كامل، لو ظل الأمر سرًا .

أومأ (أدهم) برأسه، قائلاً :

ـ عظيم .

سأله (قدرى) فى لهفة :

ـ وماذا عن مهمتك أنت ؟.. لقد شاهدت نشرة الأخبار، وأسعدنى ما فعلته كثيرًا .. لقد عدت بكامل قوتك يا صديقى .

ثم مال نحوه، مستطردًا :

ـ إننى أقصد مهمتك الأخرى بالطبع .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة، وقال وهو يخرج من جيبه بطاقة مغناطيسية صغيرة، ويعيدها إلى (قدرى) :

ـ كانت مهمة أنيقة محدودة، ولست أدرى لماذا لم تقم بمثلها من قبل .

أجابه (قدرى) فى ارتياح :

ـ لم أكن قد توصلت بعد إلى الوسيلة المثلى، لتزوير تلك البطاقات المغناطيسية المعقدة .

أجابه (أدهم) بابتسامة هادئة :

ـ ومن الواضح أنك نجحت فى عملك للغاية . فلقد ساعدتنى هذه البطاقة على شق طريقى بمنتهى البساطة، إلى قاعة المعلومات، فى قلب المبنى الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية، دون أن يستوقفنى شخص واحد .

قهقه (قدرى) ضاحكًا، وقال :

ـ هذا يثبت أن الثقة فى وسائل الأمن من أخطر الأخطاء .

غمغم (أدهم) :

ـ هذا صحيح .

سأله (قدرى) فى اهتمام :

ـ وماذا فعلت هناك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ وضعت مفاجأة لصديقنا (فوستر) ، عندما يحاول البحث عن تقرير كمبيوتر يدين (منى) .

هزّ (قدرى) رأسه فى إعجاب ، ثم سأل (أدهم) بغتة فى اهتمام :

ـ أخبرنى يا (أدهم) .. لماذا سعيت لاطلاق سراح (حسام) ، وإعادته لـ(القاهرة) ، قبل أن تفعل هذا مع (منى) ؟.. معذرة ، ولكننى تصوّرت أنك ستهرع فى البداية لإنقاذها .

أجابه (أدهم) فى بساطة :

ـ (حسام) فاقد الوعى ، وقد يمكن استراجه ، أو الحصول منه على معلومات تدين (مصر) ؛ لذا كان من الضرورى أن أبعده عن متناول أيديهم ، قبل أن أشرع فى عمل جاد .

هتف (قدرى) :

ـ عمل جاد ؟!.. وماذا تسمى كل مافعلته حتى الآن يا رجل ؟.. دعابة ؟

لوّح (أدهم) بكفه ، وقال :

ـ لاتنس أننا مازلنا نجهل أين يحتفظون بـ(هارولد) ، ثم أننى لم أواجه (فوستر) بعد .

سأله (قدرى) :

ـ وهل يعنى هذا الكثير ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ بالطبع ياصديقى .. إنه يعنى أن اللعبة الحقيقية لم تبدأ بعد .

ردّد (قدرى) :

ـ اللعبة ؟!

ثم قهقه ضاحكًا ، قبل أن يستطرد :

ـ مازال أسلوبك يثير إعجابى واستمتاعى يا (أدهم) .. إنك تدير الأمور كالأيام الخوالى ، وتنفق بسخاء ، ليسير كل شىء على مايرام .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إنها نقود (سونيا جراهام) .. من سخرية القدر أن تدفع (سونيا) ـ دون أن تدرى ـ ثمن إنقاذ رجالنا ، وإدانة دولتها ..

بدا الجد على وجه (قدرى) ، وهو يقول :

ـ بمناسبة الحديث عن (سونيا) .. لقد رأيتها تهبط بطائرتها الخاصة هنا ، فى (نيويورك) ، عندما كنا نرحل إلى (المكسيك) .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ رأيتها .

ثم هبّ من مقعده ، وقال :

- يخيّل إلىّ أننى أعلم جيدًا ما الذى ستفعله (سونيا) ، أو ما الذى تنوى أن تفعله ، وهذا يعنى أن الأمور ستختلف كثيرًا عما كنا نتوقع يا صديقى ، ويعنى أيضًا أن اللعبة الحقيقية ينبغى أن تبدأ فى وقت مبكر .

واكتسى صوته بالحزم والصرامة ، وهو يتابع :

- ينبغى أن تبدأ الآن .

وأدرك (قدرى) أن الساعة قد حانت ..

ساعة القتال ..

* * *

اقتحم (دانى) حجرة (فوستر) فى انفعال شديد ، وهو يهتف :

- لقد أحضرت تقرير الكمبيوتر أيها الرئيس .. لن تصدق أبدًا ما جاء فيه .

اعتدل (فوستر) ، وقال :

- أعطنى إياه يا (دانى) .

ناوله (دانى) التقرير ، فاختطفه (فوستر) فى لهفة ، وطالعه فى اهتمام بالغ ، قبل أن يرتفع حاجباه فى دهشة شديدة ..

كان التقرير يحمل صورة (منى توفيق) ، وأسفلها عبارة تقول : إنها لاتنتمى إلى المخابرات المصرية ، بل إلى المخابرات الاسرائيلية ، وأنها تحمل اسم (هاتا دايان) ، من قسم العمليات الخارجية الخاصة ..

وبرقت عينا (فوستر) فى شدة ، وهو يقول :

- هذا آخر ماكنت أتوقعه بالفعل .

ثم ألقى التقرير على مكتبه ، وداعب ذقنه بأصابعه ، وهو يعقد حاجبيه فى تفكير عميق فى حين هتف (دانى) فى حماس :

- لقد أوقعنا بالإسرائيليين هذه المرة .

أشار (فوستر) بسبابته ، وقال :

- ليس بعد .

هتف (دانى) فى دهشة :

- كيف ؟! .. إنك تمسك بيديك دليل إدانتهم أيها الرئيس .

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وقال :

- ولكن الشك لايزال يعربد فى أعماقى يا (دانى) .

سأله (دانى) فى قلق :

- لماذا يا سيدى ؟

مط (فوستر) شفتيه فى صمت ، دون أن يجيب بحرف واحد ، وتابع مداعبة ذقنه بأصابعه ، ثم اعتدل بغتة ، وقال :

- احضر تلك الجاسوسة يا (دانى) .

بوغت (دانى) بالقول ، فتراجع فى دهشة ، وقال :

- ماذا تعنى بإحضارها يا سيدى ؟

أجابه (فوستر) ، فى اهتمام بالغ :

- اخرجها من سجنها ، وأحضرها إلى هنا .. سنضعها فى سجن خاص ، تحت حراسة بشرية وإلكترونية مشددة .

سأله (دانى) :

ـ لماذا ؟

أجاب (فوستر) ، وهو غارق فى تفكير عميق :

ـ لأن كل شىء لايروق لى يا (دانى) .. إننا نتعثر فى دليل يدين الإسرائيليين ، كلما خطونا خطوة واحدة إلى الأمام ، وهذا لايبدو طبيعيًا ، فليس من عادة الإسرائيليين أن يبذلوا كل هذا ، من أجل رجالهم .. على الأقل ليس بهذا الوضوح ، ولو أننى فى موضعهم ، لتصرّفت على نحو مختلف تمامًا ، ولاخترت مثلًا محاميًا آخر ، لاينتمى إلى المعبد اليهودى ، فالفتاة تجيد عدة لغات ، وليست هناك ضرورة ملحّة ، للتحدث إليها بالعبرية .

وداعب ملف (منى) بأصابعه ، قبل أن يتابع :

ـ ولكن الشىء الواضح للغاية ، فى اللعبة كلها ، هو أن خصمنا الشيطان هذا ، سيبذل أقصى جهده ، فى محاولة إنقاذ زميلته من السجن . لذا فسنعمل على جعل مهمته أكثر تعقيدًا ، عندما يحاول هذا .

قال (دانى) :

ـ لو أننى فى موضعك لفعلت العكس ياسيّدى ، ولجعلت مهمته تبدو أكثر سهولة ، حتى يمكنه الوقوع فى الفخ .

ابتسم (فوستر) ، وقال :

ـ بل إننى أجعل اللعبة أكثر إثارة ومتعة ، فلو أن خصمنا ، هو نفس الشخص الذى أتوقعه ، فلن يحول سجننا الخاص بينه

وبين صديقته ، بل سيدفعه التحدى إلى القدوم إلينا بنفسه ، وعندئذ نضرب عصفورين بحجر واحد .. بل ثلاثة عصافير يا (دانى) ، فسنحتفظ بالفتاة ، ونكشف حقيقة انتمائها ، ونوقع بزميلها فى الوقت نفسه .

هز (دانى) رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ ولكن إحضار الفتاة من سجنها إلى هنا ، يحتاج إلى موافقة خاصة ، من القاضى الفيدرالى ، ولن يسمح لنا القاضى بهذا أبدًا ، فليس من حقنا دستوريًا ، التدخل فى الأمور الداخلية للبلاد .

قال (فوستر) فى صرامة :

ـ اصنع موافقة مزوّرة .

اتسعت عينا (دانى) فى دهشة ، وقال :

ـ مزوّرة ؟!

أجابه فى حزم :

ـ نعم يا (دانى) .. إذهب إلى السجن بموافقة مزوّرة ، واحضر الفتاة إلى هنا الليلة .. هل تفهم ؟

اعتدل (دانى) ، وقال :

ـ نعم .. أفهم أيها الرئيس .

وغادر المكان دون أن يضيف حرفًا واحدًا ، فى حين فتح (فوستر) ملف (منى) مرة أخرى ، والتقط منه صورة (أدهم صبرى) ، وقال :

ـ أعلم أنك ثعلب مثلى أيها المصرى ، ولو أنك على قيد

الحياة ، كما أتوقع ، فسيعنى هذا أن المعركة بيننا ستحتدم أكثر وأكثر ، وستصبح مثالية ، كما تقول كتب المخابرات .. ستكون معركة ثعالب ، يفوز فيها الأذكى ، والأقوى والأبرع ..

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يستطرد :

- سيفوز فيها الثعلب .. الثعلب الحقيقى ..

واتسعت ابتسامته أكثر ..

* * *

لم تفقد (منى) أعصابها ، عندما انقضت عليها (سيرينا) ورفيقاتها ، وهن يحاولن قتلها ..

كانت قد واجهت مع (أدهم) مواقف أشد هولًا من هذه ، فلماذا ترتجف أمام ست نساء ؟..

وبكل الكراهية والمقت فى أعماقها ، هوت (سيرينا) على رأس (منى) بضربة عنيفة ، ولكن (منى) تفادت الضربة فى مهارة ، وأصابت أنف (سيرينا) بلكمة مباشرة ، ثم انتزعت منها الهراوة ، وهوت بها على رأسها ..

وأطلقت (سيرينا) صرخة ألم ، والدماء تتفجر من أنفها ورأسها ، ولكن (منى) لم تضع لحظة واحدة ، بل دفعتها أمامها فى قوة ، لتضرب بها زميلاتها ، وتدفعهن جميعًا خارج زنزانتها ..

وسقطت النساء الست خارجًا ، وحاولت (سيرينا) أن تنهض ، وأن تصرخ :

- أيتها الحقيرة الـ ..

ولكن (منى) أخرستها بركلة عنيفة فى فكها ، وأزاحتها عن طريقها ، ثم هاجمت النساء الخمس الأخريات ..

وبضربة قوية ، أطاحت (منى) بهراوة إحدى النساء ، وحطمت أسنان الثانية بضربة أخرى ، وقفزت تتفادى ضربة ثالثة ..

ولكن الرابعة أصابت هدفها ..

ضربة هراوة عنيفة ، أصابت (منى) فى ظهرها ، ودفعتها نحو حاجز شرفة الطابق الثانى ..

وتشبثت (منى) بالحاجز ، واستدارت تواجه النساء مرة أخرى ، ولكنها تلقت على ذراعها ضربة ثانية ، أكثر عنفًا من الأولى ، فطوحت هراوتها دون هدف ، وطرق مسامعها صوت عظام تتكسر ، وصرخة ألم عنيفة ، قبل أن تتلقى ضربة ثالثة فى معدتها ..

واحتملت (منى) آلام الضربات فى قوة ، وضربت أقرب النساء إليها بهراوتها فى عنف أشد ، ثم ابتعدت تتفادى ضربة رابعة ، وطوحت هراوتها فى وجه امرأة أخرى ..

كان قتالًا وحشيًا عنيفًا ، أشبه بقتال الوحوش المفترسة فى الغابات والبرارى ..

أو بمعنى أدق ، كان قتال شوارع ، كما يطلقون عليه فى (أمريكا) ..

والأمريكيون يستخدمون هذا المصطلح، لوصف القتال الهمجى، الذى يدور بين أطراف شرسة، دون قواعد أو قوانين ..

وهذا يختلف كثيرًا عن القتال الرسمى المنظم، أو الفنى المدروس ..

إنه قتال بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وعلى الرغم من أنهار الدم، التى سالت من الأنوف المحطمة، والأسنان المكسورة، وعلى الرغم من أصوات التأوهات والصرخات، التى جلجلت فى المكان، لم يظهر حارس واحد من حرّاس السجن ..

وكانت (منى) تعلم أنهم لن يظهروا أبدًا ..

إلا لرفع جثتها ..

وهذا مازادها قوة وعنفًا، وساعدها على احتمال الضربات القوية، وآلام ضلعها المحطّم، وذراعها التى أصابتها ثلاث ضربات عنيفة قاسية ..

وبكل قوتها، راحت تضرب وتضرب وتضرب ..

والعجيب أن النصر لاح لها، بأكثر مما لاح للآخرين ..

والأعجب أن النساء تراجعن أمامها فى ذعر ..

لقد أصابت ضرباتها أهدافها فى قوة ..

ومن بعيد، تفجّرت كراهية (هويا) أكثر، مع انتصار (منى) الواضح، فغمغمت فى مرارة :

ـ لا أيتها الجاسوسة .. لن تفلتى من انتقام (هويا) أبدًا .

ثم أخرجت مسدسها، وصوّبته إلى (منى) فى إحكام، وهى تكرر :

ـ أبدًا ..

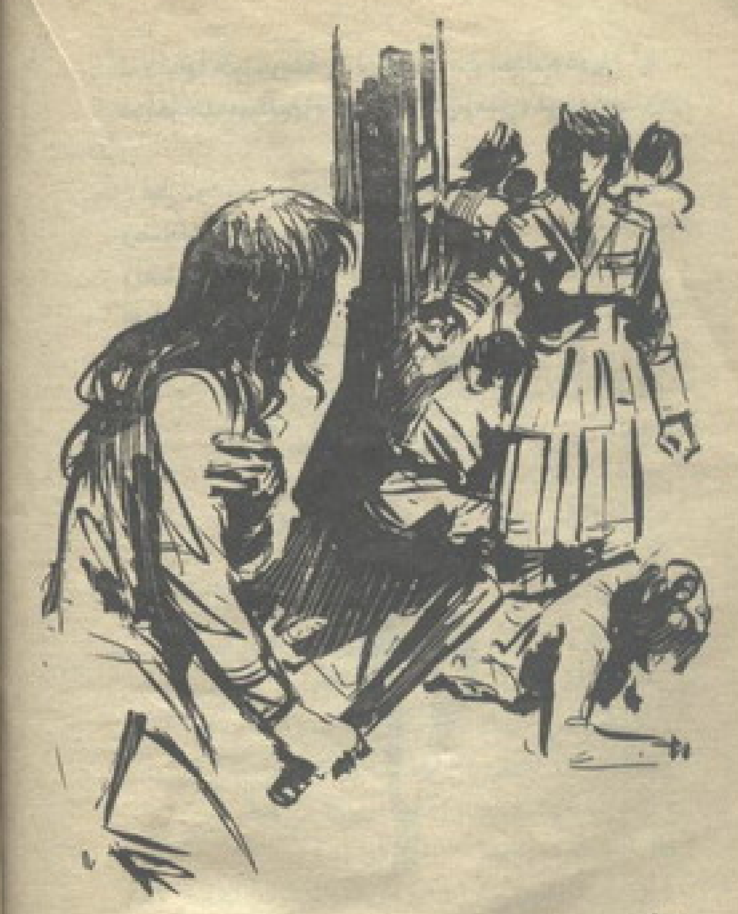
وضغطت زناد مسدسها ..

وأصابت هدفها ..

أصابت (منى) .

* * *





ثم أخرجت مسدسها ، وصوّبته إلى (منى) فى إحكام ، وهى تكرر :
ـ أبدًا ..

١١ ـ الوحوش ..

لم يصدّق (حسام) نفسه ، عندما فتح عينيه ، واستعاد وعيه ، ليجد نفسه راقدًا فى حجرة العناية المركّزة ، فى مستشفى (مصرى) ، وأمامه يقف مدير المخابرات المصرية ، الذى ابتسم قائلًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

هتف (حسام) فى دهشة :

ـ كيف جئت إلى هنا ؟

أجابه المدير مداعبًا :

ـ بالطائرة .

سأله (حسام) :

ـ أعنى كيف خرجت من مستشفى السجن ؟

قال المدير فى اهتمام :

ـ كنت أتمنى أن تجيب أنت عن هذا السؤال .

لوّح (حسام) بكفه ، وقال :

ـ ولكننى أجهل هذا تمامًا .. كل ما أذكره هو أن ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، ثم هزّ رأسه فى عنف ، وقال فى توتر :

ـ لا .. مستحيل !

سأله المدير في اهتمام أكثر :

ـ ما هو هذا المستحيل ؟

تردد (حسام) لحظة ، ثم عاد يهز رأسه ، قائلاً :

ـ إنه حلم حتمًا .

قال المدير في صرامة :

ـ قص علىَّ حلمك هذا إذن .

تنهد (حسام) ، وقال :

ـ إنه أمر مستحيل الحدوث ، فقد حلمت أنني التقيت بالأسطورة .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ الأسطورة ؟!

أجابه (حسام) :

ـ أقصد (ن ـ ١) .. (أدهم) .. (أدهم صبري) .

برقت عينا المدير في شدة ، وهو يقول :

ـ التقيت بـ(أدهم) ؟

ثم جلس على طرف فراش (حسام) ، وقال في انفعال :

ـ قص علىَّ كل ماحدث .. هيا .

هز (حسام) رأسه ، وقال :

ـ إنه حلم حتمًا ، فقد كنت أفكر فيه طيلة الوقت ، وأحاول بلوغ قدرته ، حتى يمكنني الحصول على لقبه ، ولاريب أن رغبتي الجامحة هذه قد ترجمت إلى ذلك الحلم ، الذي رأيته فيه .

قال المدير في ضيق :

ـ اترك لي تفسير الأمور ، وقص علىَّ مالديك فحسب .

لوح (حسام) بكفيه لحظات في صمت ، ثم قال :

ـ لم يكن على تلك الهيئة ، التي نعرفه بها ، وإنما كان أشقر الشعر ، أزرق العينين .

ابتسم المدير ، وقال :

ـ (أدهم) له ألف وجه .

تابع (حسام) ، وكأنه لم يسمع العبارة :

ـ ولقد قدم لي نفسه ، وأجاب عن دهشتي لرؤيته ، بأن لبقائه على قيد الحياة قصة طويلة ، سيقصها علىَّ فيما بعد ، ثم طلب مني أن أقص عليه كل تفاصيل المهمة ، وعندما لاحظ تشككي في شخصيته أخبرني باسمك يا سيدي ، وبموقع الإدارة الفعلي ، ثم بالرقم الكودي لفتح ملفات الكمبيوتر ، والذي لايعرفه سوى عدد قليل من رجال الإدارة ، فتأكدت من حقيقة شخصيته ، ورويت له كل مالدي ، ثم فقدت بعدها الوعي .

اعتدل المدير ، وأغلق عينيه في قوة ، وزفر في ارتياح ، قبل أن يقول :

ـ إنه حي .

حدق (حسام) في وجهه بدهشة ، وقال :

ـ من هذا ؟

أجابه المدير في سعادة واضحة :

- (أدهم صبرى) .

تحولت دهشة (حسام) إلى ذهول استمرّ لحظات ، قبل أن يقول فى حدة :

- مستحيل ياسيّدى !

تجاهله المدير تماما ، وهو يقول :

- مازال يعمل من أجل (مصر) .

ثم التفت إلى (حسام) بغتة ، وقال فى قلق :

- ولكن ظهور (أدهم) الآن بالغ الخطورة .

ردد (حسام) فى دهشة :

- حقًا ؟!

أجاب المدير فى حماس :

- بالطبع ، فلو عرف خصومنا أن (أدهم صبرى) حى ، وأنه هو الذى أخرجك من السجن ، فسيرشدهم هذا إلى حقيقتنا ، وإلى أنك مصرى الجنسية .

ردد (حسام) مرة أخرى :

- حقًا ؟!

كان يشعر بحيرة حقيقية من موقف المدير ، الذى عاد إلى ارتياحه ، وهو يتابع فى ثقة :

- ولكن ظهور (أدهم) يعنى أن العملية ستتخذ الآن أبعادًا جديدة .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

- وقوية ..

* * *

ضرب (إيزاك راهودا) سطح مكتبه بقبضته فى عنف غاضب ، وهو يقول لأحد رجاله :

- لابد أن تكشف الستار عن هؤلاء المصريين ، وأن نفضح أمرهم .. إنهم يحاولون توريطنا فى الأمر ، ووضعنا فى صورة من يتجسس على الأمريكيين .

ابتسم الرجل ، وقال :

- ولكننا نفعل هذا بالفعل ، فلنا عدد من جواسيسنا هنا .

صاح (إيزاك) :

- ليس بصورة واضحة .. إننا نجيد إخفاء جواسيسنا .

ثم عاد يزفر فى غضب ، مستطردًا :

- وسألقن (جيمس) درسًا قاسيًا ، لوقوفه ضدنا على هذا النحو .

سأله الرجل الواقف إلى جواره فى هدوء :

- المهم ماذا نفعل ؟

أجابه (إيزاك) :

- أريد منك أن تجمع لى أكبر قدر من المعلومات ، حول ذلك الشيطان ، الذى أخرج جاسوس المصريين من السجن .

عقد الرجل حاجبيه ، وقال :

- وكيف يمكننى جمع المعلومات عنه ؟

لوّح (إيزاك) بذراعه فى حنق ، هاتفًا :

- افعل كل مايمكنك .. المهم أن تنجح .

ابتسم الرجل وقال :

- سأحاول .

قبل أن يضيف كلمة واحدة ، ظهر رجل آخر من رجال (إيزاك) ، وقال :

- هناك سيدة تطلب مقابلتك أيها الرئيس .

عقد (إيزاك) حاجبيه ، وقال :

- سيدة ؟! .. كيف تبدو ؟

أطلق الرجل صفيرًا طويلًا ، وقال :

- ملكة جمال .

ازداد انعقاد حاجبى (إيزاك) ، وقال :

- ما اسمها .

فوجئ بـ(سونيا) تتجاوز الرجل ، وتدلف إلى الحجرة ، قائلة :

- كيف حالك يا (إيزاك) ؟.. كنت واثقة من أنك مازلت تحتل المنصب نفسه .

هتف (إيزاك) .

- (سونيا) ؟! .. يالها من مفاجأة !

أسرع إليها يصافحها فى حرارة ، وقادها إلى مقعد وثير ، وهو يقول :

- مضى زمن طويل ، منذ التقينا آخر مرة ، ومن الواضح أنك تزدادين فتنة وجمالًا .

جلست (سونيا) على المقعد ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وهو تقول فى لهجة صارمة :

- لن نضيع الوقت فى الحديث عن جمالى وفتنتى يا (إيزاك) ، فمن المؤكد أننى لم أقطع كل هذه المسافة ، لأستمع إليك ، وأنت تغازلنى على هذا النحو الفج .

ابتسم (إيزاك) ، وقال :

- ومن يمكنه مقاومة فتنتك يا (سونيا) ؟

لاحظ غضبها ، فاستدرك فى سرعة :

- ولكن دعينا نتحدث عما أتيت من أجله .

مالت نحوه ، وقالت :

- إننى أحمل لك مفاجأة !

بدا الاهتمام على وجهه ، وهو يقول :

- أية مفاجأة ؟

تنهدت فى عمق ، وقالت :

- تماسك جيدًا ، فما سأخبرك به ، سيجعل قلبك يتوقف ، من فرط الانفعال والمفاجأة .

انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يقول :

- إلى هذا الحد ؟!

مالت نحوه أكثر ، وقالت :

- استمع إلىّ جيدًا .. إننى هنا لأخبرك باسم زوجى .

هتف فى دهشة :

- زوجك .

أومأت برأسها إيجابًا ، وانفرجت شفتاها لتكشفا السر ، الذى سيقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

سر (أدهم صبرى) ..

رجل المستحيل ..

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث

(خط المواجهة)